مغامرات بريكلي بوركي

ثورنتون دبليو برجس



مُغَامَرَاتُ بريكلي بوركي

تأليف
ثورنتون دبليو برجس

ترجمة
زينب عاطف

مراجعة
مروة عبد الفتاح شحاتة



The Adventures of

Prickly Porky

Thornton W. Burgess

مُغَامَرَاتُ بريكلي بوركي

ثورنتون دبليو برجس

الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

٣ هاي ستريت، وندسور، SL4 1LD، المملكة المتحدة
تليفون: ‎+ ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

رسم الغلاف: حنان بغدادي.

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ١٣٧٦ ٧

المحتويات

الفصل الأول

اكْتِشَافُ السِّنْجَابِ جاك السَّعِيدِ

حَظِيَ السِّنْجَابُ جاك السَّعِيدُ بِيَوْمٍ رَائِعٍ؛ إِذْ عَثَرَ عَلَى بَعْضِ أَشْجَارِ الْكَسْتَنَاءِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي لَمْ يَرَهَا مِنْ قَبْلُ، وَالَّتِي وَعَدَتْهُ بِأَنْ تُعْطِيَهُ كُلَّ مَا يُرِيدُ مِنْ ثِمَارِ الْكَسْتَنَاءِ طَوَالَ الشِّتَاءِ الْقَادِمِ. فَكَّرَ الْآنَ فِي الْعَوْدَةِ إِلَى الْبَيْتِ، بَعْدَ أَنْ أَوْشَكَتِ الظَّهِيرَةُ عَلَى الِانْتِهَاءِ. نَظَرَ عَبْرَ الْحَقْلِ الْفَسِيحِ، حَيْثُ كَادَ السَّيِّدُ جوشوك يُمْسِكُ بِهِ ذَلِكَ الصَّبَاحَ، وَالَّذِي يَقَعُ بَيْتُهُ فِي الْجَانِبِ الْآخَرِ مِنَ الْحَقْلِ.

قَالَ جاك السَّعِيدُ لِنَفْسِهِ: «إِنَّ طَرِيقَ الِالْتِفَافِ حَوْلَ الْحَقْلِ طَوِيلٌ، لَكِنْ مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ أَكُونَ آمِنًا مُطْمَئِنًّا.»

بَدَأَ جاك السَّعِيدُ رِحْلَتَهُ الطَّوِيلَةَ حَوْلَ الْحَقْلِ الْفَسِيحِ. يَتَمَيَّزُ السِّنْجَابُ جاك السَّعِيدُ بِعَيْنَيْنِ بَرَّاقَتَيْنِ، وَهُوَ حَادُّ الْبَصَرِ قَلَّمَا يَمُرُّ شَيْءٌ دُونَ أَنْ يَلْحَظَهُ؛ لِذَا بَيْنَمَا كَانَ يَقْفِزُ مِنْ شَجَرَةٍ لِأُخْرَى، لَمَحَ شَيْئًا فِي الْأَسْفَلِ عَلَى الْأَرْضِ أَثَارَ فُضُولَهُ.

فَقَالَ جاك السَّعِيدُ: «يَجِبُ أَنْ أَتَوَقَّفَ وَأَرَى مَا هَذَا الشَّيْءُ.» لِذَا رَكَضَ إِلَى أَسْفَلِ الشَّجَرَةِ، وَبَعْدَ دَقَائِقَ قَلِيلَةٍ وَجَدَ الشَّيْءَ الْغَرِيبَ الَّذِي جَذَبَ انْتِبَاهَهُ. كَانَ أَمْلَسَ وَلَوْنُهُ أَسْوَدُ وَأَبْيَضُ، وَكَانَ حَادًّا لِلْغَايَةِ مِنْ أَحَدِ الْأَطْرَافِ وَبِهِ سِنٌّ مُدَبَّبَةٌ صَغِيرَةٌ، اكْتَشَفَهَا جاك السَّعِيدُ مِنْ خِلَالِ وَخْزِ نَفْسِهِ بِهَا.

فَصَاحَ: «آهٍ»، وَأَسْقَطَ الشَّيْءَ الْغَرِيبَ عَلَى الْأَرْضِ. سُرْعَانَ مَا لَاحَظَ وُجُودَ الْمَزِيدِ عَلَى الْأَرْضِ.

قَالَ جاك السَّعِيدُ: «عَجَبًا! مَا هَذَا؟ إِنَّهَا لَيْسَتْ نَبَاتًا؛ فَلَيْسَ لَهَا جُذُورٌ. وَلَيْسَتْ أَشْوَاكًا؛ فَلَا يُوجَدُ نَبَاتٌ تَأْتِي مِنْهُ. وَهِيَ لَيْسَتْ كَائِنًا حَيًّا، فَمَاذَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ؟»

الْآنَ لَمَعَتْ عَيْنَا جاك السَّعِيدِ، لَكِنَّهُ أَحْيَانًا لَا يَسْتَخْدِمُهُمَا عَلَى أَمْثَلِ وَجْهٍ؛ فَكَانَ مُنْشَغِلًا لِلْغَايَةِ فِي فَحْصِ الْأَشْيَاءِ الْغَرِيبَةِ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يُفَكِّرْ لِمَرَّةٍ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَعْلَى فِي قِمَمِ الْأَشْجَارِ. لَوْ أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ، رُبَّمَا مَا وَقَعَ فِي كُلِّ هَذِهِ الْحَيْرَةِ. فَجَمَعَ ثَلَاثَةً أَوْ أَرْبَعَةً مِنَ الْأَشْيَاءِ الْغَرِيبَةِ وَاسْتَكْمَلَ رِحْلَتَهُ مَرَّةً أُخْرَى. قَابَلَ فِي الطَّرِيقِ الْأَرْنَبَ بيتر وَأَرَاهُ مَا لَدَيْهِ. وَكَمَا تَعْلَمُونَ، الْأَرْنَبُ بيتر شَدِيدُ الْفُضُولِ. وَلَنْ يَهْدَأَ لَهُ بَالٌ حَتَّى يَرْكُضَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَخْبَرَهُ السِّنْجَابُ جاك السَّعِيدُ أَنَّهُ أَتَى بِتِلْكَ الْأَشْيَاءِ مِنْهُ.

صَاحَ جاك السَّعِيدُ: «مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ تَتَوَخَّى الْحَذَرَ أَيُّهَا الْأَرْنَبُ بيتر، فَهِيَ حَادَّةٌ لِلْغَايَةِ.»

لَكِنَّ بيتر كَعَادَتِهِ كَانَ مُسْرِعًا لِلْغَايَةِ حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ مَا قِيلَ لَهُ. أَطْلَقَ بيتر سِيقَانَهُ الطَّوِيلَةَ لِلرِّيحِ عَبْرَ الْغَابَاتِ وَرَكَضَ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ مُمْكِنَةٍ. ثُمَّ فَجْأَةً صَرَخَ وَجَلَسَ يُضَمِّدُ إِحْدَى قَدَمَيْهِ. وَسُرْعَانَ مَا أَطْلَقَ صَرْخَةً أُخْرَى أَعْلَى مِنَ الْأُولَى. وَجَدَ الْأَرْنَبُ بيتر الْأَشْيَاءَ الْغَرِيبَةَ الَّتِي أَخْبَرَهُ عَنْهَا السِّنْجَابُ جاك السَّعِيدُ، أَحَدُهَا مَغْرُوسٌ بِقَدَمِهِ وَآخَرُ غُرِسَ فِي الرُّقْعَةِ الْبَيْضَاءِ بِالْجُزْءِ الْخَلْفِيِّ مِنْ سِرْوَالِهِ.

الفصل الثاني

غَرِيبٌ مِنَ الشَّمَالِ

كَانَتِ النَّسَمَاتُ الرَّقِيقَةُ الْمَرِحَةُ بَنَاتُ الرِّيَاحِ الْغَرْبِيَّةِ الْعَجُوزِ مُتَحَمِّسَةً؛ نَعَمْ، كَانَتْ مُتَحَمِّسَةً بِالْفِعْلِ. قَابَلَتْ فِي طَرِيقِهَا السِّنْجَابَ جاك السَّعِيدَ وَالْأَرْنَبَ بيتر، وَكَانَتْ فِي جَعْبَتَيْهِمَا أَنْبَاءٌ عَنِ الْأَشْيَاءِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي وَجَدَاهَا فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. انْطَلَقَتِ النَّسَمَاتُ مُسْرِعَةً هُنَا وَهُنَاكَ فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَأَخْبَرَتْ كُلَّ مَنْ قَابَلَتْهُ. وَصَلَتْ أَخِيرًا إِلَى الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ وَأَخْبَرَتِ الْجَدَّ ضفدع عَنِ الْأَمْرِ كُلِّهِ بِحَمَاسٍ.

هَنْدَمَ الْجَدُّ ضفدع مِعْطَفَهُ الْأَبْيَضَ وَالْأَصْفَرَ وَبَدَا عَلَيْهِ التَّعَقُّلُ الشَّدِيدُ، وَالْجَدُّ ضفدع عَجُوزٌ جِدًّا كَمَا تَعْلَمُونَ.

قَالَ الْجَدُّ ضفدع: «أُوهْ، أَنَا أَعْلَمُ مَا هِيَ.»

صَاحَتِ النَّسَمَاتُ الرَّقِيقَةُ الْمَرِحَةُ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ: «مَاذَا؟ يَقُولُ جاك السَّعِيدُ إِنَّهُ مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّهَا لَمْ تَخْرُجْ مِنَ الْأَرْضِ، حَيْثُ لَا تُوجَدُ نَبَاتَاتٌ غَرِيبَةٌ هُنَاكَ.»

فَتَحَ الْجَدُّ ضفدع فَمَهُ الْكَبِيرَ وَأَمْسَكَ بِذُبَابَةٍ خَضْرَاءَ بَلْهَاءَ قَذَفَتْهَا إِحْدَى النَّسَمَاتِ الرَّقِيقَةِ الْمَرِحَةِ تِجَاهَهُ.

قَالَ الْجَدُّ ضفدع: «هَاهْ، لَيْسَ كُلُّ مَا يَنْمُو نَبَاتًا. الْآنَ أَنَا مُتَأَكِّدٌ أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ نَمَتْ، وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ نَبَاتًا.»

بَدَتِ الْحَيْرَةُ عَلَى النَّسَمَاتِ الرَّقِيقَةِ الْمَرِحَةِ. وَسَأَلَتْ إِحْدَاهَا: «مَا الَّذِي يَنْمُو وَلَيْسَ نَبَاتًا؟»

فَتَسَاءَلَ الْجَدُّ ضفدع: «مَاذَا عَنِ الْمَخَالِبِ الَّتِي نَمَتْ فِي أَصَابِعِ الْأَرْنَبِ بيتر، وَالشَّعْرِ الَّذِي نَمَا بِذَيْلِ جاك السَّعِيدِ؟»

بَدَتِ الْحَمَاقَةُ عَلَى النَّسَمَاتِ الرَّقِيقَةِ الْمَرِحَةِ، وَصَاحَتْ: «بِالطَّبْعِ، نَحْنُ لَمْ نُفَكِّرْ فِي ذَلِكَ، وَلَكِنَّنَا وَاثِقُونَ مِنْ أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الْغَرِيبَةَ الَّتِي تَخِزُ عَلَى هَذَا النَّحْوِ لَيْسَتْ مَخَالِبَ، وَبِالتَّأْكِيدِ لَيْسَتْ شَعْرًا.»

قَالَ الْجَدُّ ضفدع: «لَا تَكُنَّ وَاثِقَاتٍ هَكَذَا. اذْهَبْنَ إِلَى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَانْظُرْنَ إِلَى أَعْلَى فِي قِمَمِ الْأَشْجَارِ بَدَلًا مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ ارْجِعْنَ إِلَيَّ وَأَخْبِرْنَنِي بِمَا تَجِدْنَ.»

تَسَابَقَتِ النَّسَمَاتُ الرَّقِيقَةُ الْمَرِحَةُ إِلَى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَبَدَأَتْ تَبْحَثُ بَيْنَ قِمَمِ الْأَشْجَارِ، فَوَجَدَتْ فِي أَعْلَى شَجَرَةٍ حَوْرًا كَبِيرًا غَرِيبًا؛ كَانَ أَكْبَرَ مِنْ أَيِّ فَرْدٍ مِنْ سُكَّانِ الْمُرُوجِ الصِّغَارِ، وَكَانَتْ لَدَيْهِ أَسْنَانٌ طَوِيلَةٌ وَحَادَّةٌ كَانَ يُزِيلُ بِهَا لِحَاءَ الشَّجَرَةِ. كَانَ شَعْرُ فَرْوِهِ طَوِيلًا وَتَخْرُجُ مِنْهُ أَلْفُ شَوْكَةٍ صَغِيرَةٍ تَبْدُو تَمَامًا مِثْلَ الْأَشْيَاءِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي أَخْبَرَهُنَّ جاك السَّعِيدُ وَالْأَرْنَبُ بيتر بِهَا.

قَالَتِ النَّسَمَاتُ الرَّقِيقَةُ الْمَرِحَةُ بِأَدَبٍ: «صَبَاحُ الْخَيْرِ.»

رَدَّ الْغَرِيبُ عِنْدَ قِمَّةِ الشَّجَرَةِ بِصَوْتٍ أَجَشَّ: «صَبَاحُ الْخَيْرِ.»

قَالَتْ إِحْدَى النَّسَمَاتِ الرَّقِيقَةِ الْمَرِحَةِ بِأَدَبٍ: «هَلْ لَنَا أَنْ نَسْأَلَ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ؟»

قَالَ الْغَرِيبُ: «أَتَيْتُ مِنَ الْغَابَةِ الشَّمَالِيَّةِ.» ثُمَّ اسْتَمَرَّ فِي عَمَلِهِ، الَّذِي بَدَا أَنَّهُ إِزَالَةُ كُلِّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ لِحَاءِ الشَّجَرَةِ وَأَكْلُهُ.

الفصل الثالث

بريكلي بوركي يَكْتَسِبُ أَصْدِقَاءَ

نَشَرَتِ النَّسَمَاتُ الرَّقِيقَةُ الْمَرِحَةُ سَرِيعًا الْخَبَرَ فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَفِي أَنْحَاءِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ أَنَّ غَرِيبًا أَتَى مِنَ الشَّمَالِ. عَلَى الْفَوْرِ اخْتَلَقَ سُكَّانُ الْمُرُوجِ الصِّغَارُ وَأَهْلُ الْغَابَةِ بَعْضَ الْأَعْذَارِ مِنْ أَجْلِ الذَّهَابِ إِلَى شَجَرَةِ الْحَوْرِ الْكَبِيرَةِ حَيْثُ كَانَ الْغَرِيبُ مُنْشَغِلًا بِتَنَاوُلِ الطَّعَامِ. كَانَ فِي الْبِدَايَةِ خَجُولًا لِلْغَايَةِ وَلَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ مَا يَقُولُهُ. كَانَ كَائِنًا غَرِيبَ الْأَطْوَارِ وَكَبِيرًا لِلْغَايَةِ وَأَسْنَانُهُ حَادَّةٌ وَطَوِيلَةٌ جِدًّا، حَتَّى إِنَّ زُوَّارَهُ حَرَصُوا عَلَى الِابْتِعَادِ عَنْهُ.

جَاءَ الثَّعْلَبُ ريدي — الَّذِي كَانَ كَمَا تَعْلَمُونَ شَدِيدَ التَّفَاخُرِ وَيُحِبُّ التَّبَاهِيَ بِذَكَائِهِ وَشَجَاعَتِهِ — وَبِرُفْقَتِهِ بَاقِي سُكَّانِ الْمُرُوجِ الصِّغَارِ.

صَاحَ الثَّعْلَبُ ريدي: «هَاهْ! مَنْ يَخَافُ مِنْ هَذَا الْكَائِنِ؟»

عِنْدَهَا بَدَأَ الْكَائِنُ الْغَرِيبُ فِي النُّزُولِ مِنَ الشَّجَرَةِ؛ فَتَرَاجَعَ ريدي إِلَى الْخَلْفِ.

قَالَ الْأَرْنَبُ بيتر: «تَبْدُو كَمَا لَوْ كُنْتَ خَائِفًا أَيُّهَا الثَّعْلَبُ ريدي.»

رَدَّ الثَّعْلَبُ ريدي: «أَنَا لَا أَخَافُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ.» وَانْتَفَخَ حَتَّى يَبْدُوَ فِي ضِعْفِ حَجْمِهِ الْحَقِيقِيِّ.

قَالَ السِّنْجَابُ الصَّغِيرُ الْمُخَطَّطُ بِصَوْتٍ عَالٍ: «يَبْدُو لِي أَنِّي أَسْمَعُ صَوْتَ كَلْبِ الصَّيْدِ باوزر.»

لَمْ يَكُنِ السِّنْجَابُ الصَّغِيرُ الْمُخَطَّطُ قَدْ سَمِعَ صَوْتَ كَلْبِ الصَّيْدِ باوزر عَلَى الْإِطْلَاقِ بِالْفِعْلِ، لَكِنَّهُ فَقَطْ سَمِعَ صَوْتَ خُطًى ثَقِيلَةٍ تَتَسَارَعُ فَوْقَ أَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ الْجَافَّةِ، وَمِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّهُ كَانَ باوزر بِشَخْصِهِ. لَاذَ الْجَمِيعُ بِالْفِرَارِ، عَدَا الْكَائِنَ الْغَرِيبَ الْقَادِمَ مِنَ

الشَّمَالِ، الَّذِي اسْتَمَرَّ فِي النُّزُولِ مِنْ فَوْقِ الشَّجَرَةِ. رَآهُ باوزر وَوَقَفَ مُتَعَجِّبًا، فَلَمْ يَرَ شَيْئًا مِثْلَ هَذَا الْكَائِنِ الضَّخْمِ الدَّاكِنِ اللَّوْنِ قَطُّ.

فَصَاحَ باوزر بِصَوْتِهِ الْعَمِيقِ: «بُو وُو وُو.»

اعْتَادَ باوزر أَنَّهُ عِنْدَمَا يَصِيحُ بِصَوْتِهِ الْعَمِيقِ هَذَا يَرَى كُلَّ سُكَّانِ الْمُرُوجِ الصِّغَارِ وَأَهْلِ الْغَابَةِ يَفِرُّونَ، لَكِنَّ هَذَا الْغَرِيبَ لَمْ يَهْتَزَّ. تَفَاجَأَ باوزر حَتَّى إِنَّهُ وَقَفَ ثَابِتًا وَحَدَّقَ فِيهِ. ثُمَّ زَمْجَرَ زَمْجَرَةً عَمِيقَةً. مَعَ ذَلِكَ لَمْ يُعِرْهُ الْغَرِيبُ انْتِبَاهَهُ، فَلَمْ يَدْرِ باوزر مَاذَا يَفْعَلُ مَعَهُ.

قَالَ باوزر لِنَفْسِهِ: «سَأُلَقِّنُ هَذَا الْكَائِنَ دَرْسًا، سَأَهُزُّهُ هَزًّا عَنِيفًا حَتَّى تَنْقَطِعَ أَنْفَاسُهُ.»

فِي هَذَا الْوَقْتِ كَانَ الْغَرِيبُ قَدْ وَصَلَ إِلَى الْأَرْضِ وَيَتَّجِهُ إِلَى شَجَرَةٍ أُخْرَى، غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِمَا حَوْلَهُ. ثُمَّ حَدَثَ شَيْءٌ مَا. انْدَفَعَ باوزر تِجَاهَ الْغَرِيبِ، وَبَدَلًا مِنْ أَنْ يَفِرَّ الْغَرِيبُ ... مَاذَا تَتَوَقَّعُونَ أَنَّهُ فَعَلَ؟ تَكَوَّرَ عَلَى نَفْسِهِ وَصَارَ كَالْكُرَةِ وَانْدَثَرَ رَأْسُهُ وَسْطَ فَرْوِ صَدْرِهِ، وَعِنْدَمَا كَانَ مُتَكَوِّرًا عَلَى هَذَا النَّحْوِ، بَرَزَتْ كُلُّ الْأَشْوَاكِ الَّتِي كَانَتْ مُخَبَّأَةً بَيْنَ شَعْرِ فَرْوِهِ، وَبَدَا أَشْبَهَ بِالْقِشْرَةِ الْخَارِجِيَّةِ لِثَمَرَةِ الْكَسْتَنَاءِ. وَقَفَ باوزر فَجْأَةً. ثُمَّ مَدَّ أَنْفَهُ وَشَمَّ هَذَا الشَّيْءَ الْغَرِيبَ. طِرَاخْ! صَفَعَ الْكَائِنُ الْغَرِيبُ بِذَيْلِهِ باوزر عَلَى وَجْهِهِ، وَالْتَصَقَتْ عَشَرَاتٌ مِنَ الْأَشْوَاكِ الصَّغِيرَةِ بِوَجْهِهِ كَالدَّبَابِيسِ.

صَرَخَ باوزر بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «وَاوْ! وَاوْ! وَاوْ! وَاوْ!» وَاتَّجَهَ إِلَى الْمَنْزِلِ وَذَيْلُهُ بَيْنَ سَاقَيْهِ، وَهُوَ يَصْرُخُ مَعَ كُلِّ قَفْزَةٍ. بَعْدَ ذَلِكَ فَكَّ الْغَرِيبُ نَفْسَهُ وَابْتَسَمَ، وَصَاحَ كُلُّ سُكَّانِ الْمُرُوجِ الصِّغَارِ وَأَهْلِ الْغَابَةِ، الَّذِينَ كَانُوا يُشَاهِدُونَ، بِصَوْتٍ عَالٍ مِنَ الْبَهْجَةِ.

وَهَكَذَا اكْتَسَبَ الشَّيْهَمُ الْبَدِينُ بريكلي بوركي أَصْدِقَاءَ جُدُدًا.

الفصل الرابع

الْأَرْنَبُ بيتر يَحْمِلُ أَنْبَاءً مُفْزِعَةً

جَلَسَتْ زَوْجَةُ الْأَرْنَبِ بيتر الشَّابَّةُ — الَّتِي كَانَتْ تَحْمِلُ اسْمَ الْأَرْنَبَةِ شَعْثَاءِ الذَّيْلِ قَبْلَ الزَّوَاجِ — عِنْدَ أَطْرَافِ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ، تَتَطَلَّعُ فِي تَرَقُّبٍ إِلَى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ؛ فَقَدْ كَانَتْ قَلِقَةً لِلْغَايَةِ، لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ؛ فَلِمَاذَا لَمْ يَعُدْ بيتر إِلَى الْمَنْزِلِ؟ تَمَنَّتْ بِالْفِعْلِ لَوْ يَكْتَفِي الْأَرْنَبُ بيتر بِالْبَقَاءِ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْهَا فِي الدَّغَلِ الْعَزِيزِ. فَهِيَ تَعْجِزُ عَنْ فَهْمِ سَبَبِ رَغْبَتِهِ فِي قَطْعِ هَذِهِ الْمَسَافَةِ الطَّوِيلَةِ حَتَّى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ؛ فَطَالَمَا يَتَعَرَّضُ لِمُغَامَرَاتٍ مُفْزِعَةٍ وَمَوَاقِفَ يَنْجُو مِنْهَا بِصُعُوبَةٍ هُنَاكَ، وَمَعَ هَذَا وَرَغْمَ كُلِّ مَا تَنْصَحُهُ بِهِ، يُصِرُّ عَلَى الذَّهَابِ إِلَى هُنَاكَ. لَا تَنْعَمُ الزَّوْجَةُ بِرَاحَةِ الْبَالِ لَحْظَةً بَيْنَمَا هُوَ غَائِبٌ عَنْ نَاظِرِهَا. لَا شَكَّ فِي أَنَّهُ كَانَ يَأْتِي دَائِمًا عَلَى مَا يُرَامُ، لَكِنَّهَا لَا يَسَعُهَا إِلَّا الشُّعُورُ أَحْيَانًا بِأَنَّ فُضُولَهُ الشَّدِيدَ سَيُوقِعُهُ فِي مُشْكِلَةٍ لَنْ يَسْتَطِيعَ النَّجَاةَ مِنْهَا؛ لِذَا تَكُونُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَذْهَبُ إِلَى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَاثِقَةً تَمَامًا مِنْ أَنَّهَا لَنْ تَرَاهُ مَرَّةً أُخْرَى.

اعْتَادَ بيتر السُّخْرِيَةَ مِنْ زَوْجَتِهِ وَوَصْفَهَا بِأَنَّهَا حَمْقَاءُ، وَيُطَمْئِنُهَا بِأَنَّهُ قَادِرٌ تَمَامًا عَلَى الِاعْتِنَاءِ بِنَفْسِهِ. وَعِنْدَمَا يَلْحَظُ مَدَى قَلَقِهَا عَلَيْهِ، يَعِدُهَا بِأَنَّهُ سَيَتَوَخَّى الْحَذَرَ جِدًّا وَلَنْ يَقُومَ بِأَيِّ شَيْءٍ أَهْوَجَ أَوْ أَحْمَقَ، وَلَكِنَّهُ لَا يَعِدُهَا بِعَدَمِ الذَّهَابِ إِلَى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. بِالطَّبْعِ لَنْ يَعِدَ بيتر بِذَلِكَ؛ فَكَمَا تَعْلَمُونَ، إِنَّ بيتر لَدَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، وَدَائِمًا مَا تَتَرَدَّدُ هُنَاكَ الْكَثِيرُ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي عَلَيْهِ الْإِلْمَامُ بِهَا؛ وَمِنْ ثَمَّ لَا يَسَعُهُ الْبَقَاءُ بَعِيدًا عَنِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. أَقْنَعَ بيتر زَوْجَتَهُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ بِالذَّهَابِ مَعَهُ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ تَفْزَعُ فَزَعًا شَدِيدًا فِي كُلِّ دَقِيقَةٍ تَمُرُّ عَلَيْهَا هُنَاكَ؛ حَيْثُ بَدَا لَهَا كَأَنَّ هُنَاكَ خَطَرًا يَكْمُنُ وَرَاءَ كُلِّ شَجَرَةٍ وَتَحْتَ كُلِّ شُجَيْرَةٍ. لَمْ يَجِدِ السِّنْجَابُ الْأَحْمَرُ ثرثار وَالسِّنْجَابُ الرَّمَادِيُّ جاك

السَّعِيدُ صُعُوبَةً فِي الْوُجُودِ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ؛ فَهُمَا يَسْتَطِيعَانِ الْقَفْزَ مِنْ شَجَرَةٍ لِأُخْرَى، أَمَّا زَوْجَةُ الْأَرْنَبِ بيتر فَلَا تَجِدُهَا مَكَانًا آمِنًا وَمُنَاسِبًا لِأَرْنَبٍ يَعْقِلُ الْأُمُورَ، وَأَخْبَرَتْهُ بِذَلِكَ.

فِي ذَاكَ الصَّبَاحِ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ كَانَتْ قَلِقَةً بِدَرَجَةٍ بَالِغَةٍ؛ فَكَانَ بيتر غَائِبًا طَوَالَ اللَّيْلِ، وَهُوَ عَادَةً مَا يَعُودُ إِلَى الْمَنْزِلِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَهُبُّ فِيهِ الرِّيَاحُ الْغَرْبِيَّةُ الْعَجُوزُ مِنَ التِّلَالِ الْأُرْجُوَانِيَّةِ وَتُطْلِقُ صِغَارَهَا، النَّسَمَاتِ الرَّقِيقَةَ الْمَرِحَةَ، مِنْ حَقِيبَتِهَا الْكَبِيرَةِ حَتَّى تَلْعَبَ طَوَالَ الْيَوْمِ عَلَى الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، لَكِنْ هَذَا الصَّبَاحَ أَنْجَزَتِ الرِّيَاحُ الْغَرْبِيَّةُ الْعَجُوزُ عَمَلَهَا مُنْذُ وَقْتٍ طَوِيلٍ، وَلَمْ يَظْهَرْ بيتر بَعْدُ.

أَخَذَتْ تَنْتَحِبُ وَتَقُولُ: «لَقَدْ أَصَابَهُ مَكْرُوهٌ، أَنَا وَاثِقَةٌ مِنْ أَنَّ شَيْئًا أَصَابَهُ!»

آهٍ يَا عَزِيزِي بيتر …
آهٍ أَيُّهَا الْمُسْتَهْتِرُ …
لِمَاذَا لَا تَبْتَعِدُ عَنِ الْخَطَرِ …
فَلَا يَأْتِي مِنْهُ سِوَى كُلِّ ضَرَرٍ …

قَالَتْ إِحْدَى النَّسَمَاتِ الرَّقِيقَةِ الْمَرِحَةِ الَّتِي تَصَادَفَ مُرُورُهَا فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ وَسَمِعَتْهَا: «لَا تَقْلَقِي؛ فَبيتر ذَكِيٌّ بِمَا يَكْفِي لِلِاعْتِنَاءِ بِنَفْسِهِ، سَيَعُودُ إِلَى الْمَنْزِلِ فِي الْقَرِيبِ الْعَاجِلِ. فِي الْحَقِيقَةِ، أَظُنُّ أَنِّي أَرَاهُ قَادِمًا الْآنَ.»

نَظَرَتْ زَوْجَةُ الْأَرْنَبِ بيتر فِي الِاتِّجَاهِ الَّذِي كَانَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ النَّسَمَةُ الرَّقِيقَةُ الْمَرِحَةُ، فَرَأَتْ بيتر بِالْفِعْلِ. كَانَ مُتَّجِهًا مُبَاشَرَةً نَحْوَ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ، وَكَانَ يَرْكُضُ كَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَعْرِضَ سُرْعَتَهُ فِي الرَّكْضِ. دَقَّ قَلْبُ زَوْجَةِ الْأَرْنَبِ فِي ذُعْرٍ وَفَكَّرَتْ: «لَا بُدَّ أَنَّ ريدي أَوِ الْجَدَّةَ ثعلبة أَوِ الْقَيُّوطَ الْعَجُوزَ فِي إِثْرِهِ مُبَاشَرَةً»، وَلَكِنَّهَا أَمْعَنَتِ النَّظَرَ قَدْرَ الْمُسْتَطَاعِ وَلَمْ تَتَمَكَّنْ مِنْ رُؤْيَةِ أَيِّ شَيْءٍ يَدْعُو بيتر لِلرَّكْضِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ.

وَفِي غُضُونِ ثَوَانٍ قَلِيلَةٍ وَصَلَ بيتر بِالْقُرْبِ مِنْ زَوْجَتِهِ. كَانَتْ عَيْنَاهُ مُتَّسِعَتَيْنِ لِلْغَايَةِ وَكَانَ وَاضِحًا أَنَّهُ يَحْمِلُ أَخْبَارًا مُهِمَّةً.

قَالَتِ الزَّوْجَةُ الشَّابَّةُ بِلَهْفَةٍ: «مَا الْأَمْرُ يَا بيتر؟ أَخْبِرْنِي سَرِيعًا! هَلْ نَجَوْتَ مَرَّةً أُخْرَى بِأُعْجُوبَةٍ؟»

أَوْمَأَ بيتر وَقَالَ وَهُوَ يَلْهَثُ: «هُنَاكَ كَائِنٌ غَرِيبٌ آخَرُ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، كَائِنٌ مُرِيعُ الشَّكْلِ بِلَا أَرْجُلٍ وَلَا رَأْسٍ وَلَا ذَيْلٍ، وَكَادَ يُمْسِكُ بِي!»

الفصل الخامس

الْأَرْنَبُ بيتر يَرْوِي قِصَّتَهُ

عِنْدَمَا اسْتَطَاعَ الْأَرْنَبُ بيتر أَنْ يَسْتَرِدَّ أَنْفَاسَهُ بَعْدَ رَكْضِهِ الطَّوِيلِ وَالشَّاقِّ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ حَتَّى الدَّغَلِ الْعَزِيزِ، كَانَتْ لَدَيْهِ قِصَّةٌ رَائِعَةٌ يُرِيدُ أَنْ يَرْوِيَهَا عَنْ كَائِنٍ غَرِيبٍ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. وَإِذَا اسْتَمَعْتَ إِلَى وَصْفِ بيتر لِذَلِكَ الْكَائِنِ فَسَتَظُنُّ، كَمَا ظَنَّتْ زَوْجَتُهُ، أَنَّهُ كَائِنٌ غَرِيبٌ مُفْزِعٌ لِلْغَايَةِ؛ إِذْ لَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ أَرْجُلٌ وَلَا رَأْسٌ وَلَا ذَيْلٌ. عَلَى الْأَقَلِّ هَذَا مَا قَالَهُ بيتر.

قَالَ بيتر: «مَا حَدَثَ أَنَّنِي تَوَقَّفْتُ فَتْرَةً أَطْوَلَ مِمَّا كُنْتُ أَعْتَزِمُ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ؛ فَكَمَا تَعْلَمِينَ يَا عَزِيزَتِي، إِنَّنِي دَائِمًا أُحَاوِلُ أَنْ أَعُودَ إِلَى الْمَنْزِلِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَخْرُجُ فِيهِ قُرْصُ الشَّمْسِ الْأَحْمَرُ الْمُسْتَدِيرُ مِنْ مَأْوَاهُ وَتَهْبِطُ فِيهِ الرِّيَاحُ الْغَرْبِيَّةُ الْعَجُوزُ عَلَى الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ.» أَوْمَأَتِ الزَّوْجَةُ مُوَافِقَةً؛ فَاسْتَطْرَدَ بيتر: «لَكِنْ بِشَكْلٍ مَا، انْقَضَى الْوَقْتُ أَسْرَعَ مِمَّا ظَنَنْتُ، أَوْ إِنَّ قُرْصَ الشَّمْسِ اسْتَيْقَظَ أَبْكَرَ مِنَ الْمُعْتَادِ.» ثُمَّ تَوَقَّفَ، فَكَانَتِ الْفِكْرَةُ الْأَخِيرَةُ جَدِيدَةً وَخَطَرَ لِبيتر أَنَّهَا فِكْرَةٌ جَيِّدَةٌ. وَصَاحَ: «أَنَا أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا هُوَ مَا حَدَثَ بِالْفِعْلِ، فَلَا بُدَّ أَنَّ قُرْصَ الشَّمْسِ اقْتَرَفَ خَطَأً وَاسْتَيْقَظَ أَبْكَرَ مِنَ الْمُعْتَادِ.»

بَدَا عَلَى الزَّوْجَةِ كَأَنَّهَا تَرْتَابُ فِي الْأَمْرِ كَثِيرًا، لَكِنَّهَا لَمْ تَقُلْ شَيْئًا؛ لِذَا اسْتَكْمَلَ بيتر قِصَّتَهُ.

قَالَ بيتر وَعَيْنَاهُ تَزْدَادُ اتِّسَاعًا: «أَدْرَكْتُ كَمْ شَاعَ ضَوْءُ النَّهَارِ فِي الْمَكَانِ وَعِنْدَهَا انْطَلَقْتُ نَحْوَ الْمَنْزِلِ مُسْرِعًا بِأَقْصَى طَاقَتِي، وَحِينَهَا سَمِعْتُ قَلِيلًا مِنَ الضَّوْضَاءِ عِنْدَ أَعْلَى التَّلِّ حَيْثُ يَسْكُنُ الشَّيْهَمُ بريكلي بوركي. بِالطَّبْعِ ظَنَنْتُ أَنَّ بريكلي بوركي نَفْسَهُ سَيَخْرُجُ لِتَنَاوُلِ إِفْطَارِهِ، وَنَظَرْتُ إِلَى الْأَعْلَى وَفَمِي مَفْتُوحٌ لِأَقُولَ مَرْحَبًا، لَكِنِّي لَمْ أَقُلْ مَرْحَبًا، لَا،

لَمْ أَنْطِقْ بِكَلِمَةٍ؛ فَكُنْتُ خَائِفًا لِلْغَايَةِ؛ فَكَانَ أَبْشَعُ كَائِنٍ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ يَنْزِلُ مِنَ التَّلِّ مُتَّجِهًا نَحْوِي مُبَاشَرَةً! لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ أَرْجُلٌ وَلَا رَأْسٌ وَلَا ذَيْلٌ، وَكَانَ قَادِمًا نَحْوِي مُبَاشَرَةً بِسُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ، فَفَعَلْتُ كُلَّ مَا فِي وُسْعِي حَتَّى أَبْتَعِدَ عَنْ طَرِيقِهِ!» ثُمَّ اسْتَطْرَدَ قَائِلًا: «نَظَرْتُ نَظْرَةً وَاحِدَةً بِإِمْعَانٍ ثُمَّ قَفَزْتُ. وَيَا إِلَهِي، يَا لَهَا مِنْ قَفْزَةٍ! ثُمَّ اتَّجَهْتُ نَحْوَ الْمَنْزِلِ بِأَسْرَعِ مَا فِي وُسْعِي وَهَا أَنَا ذَا، كَمْ أَنَا سَعِيدٌ بِأَنَّنِي وَصَلْتُ إِلَى هُنَا!»

اسْتَمَعَتِ الزَّوْجَةُ فَاغِرَةً فَاهَا عَلَى آخِرِهِ، وَعِنْدَمَا انْتَهَى بيتر أَطْبَقَتْهُ فَجْأَةً ثُمَّ ذَهَبَتْ وَثْبًا إِلَيْهِ وَتَحَسَّسَتْ رَأْسَهُ.

وَسَأَلَتْهُ بِقَلَقٍ: «هَلْ أَنْتَ مَرِيضٌ يَا بيتر؟»

فَحَدَّقَ فِيهَا وَتَعَجَّبَ: «مَرِيضٌ! أَنَا مَرِيضٌ! لَسْتُ مَرِيضًا عَلَى الْإِطْلَاقِ! لَمْ أَكُنْ أَفْضَلَ حَالًا فِي حَيَاتِي مِنَ الْآنَ، إِلَّا أَنَّنِي مُتْعَبٌ قَلِيلًا مِنْ رَكْضِيَ الطَّوِيلِ. يَا لَهُ مِنْ سُؤَالٍ سَخِيفٍ! هَلْ أَبْدُو مَرِيضًا؟»

أَجَابَتِ الزَّوْجَةُ بِبُطْءٍ: «لَا، لَا، أَنْتَ لَا تَبْدُو مَرِيضًا، لَكِنَّكَ تَتَكَلَّمُ وَكَأَنَّ رَأْسَكَ أَصَابَهُ خَطْبٌ مَا؛ فَأَنَا أَعْتَقِدُ أَنَّكَ رُبَّمَا تَشْعُرُ بِدُوَارٍ بَعْضَ الشَّيْءِ، أَوْ رُبَّمَا تَكُونُ أَخَذْتَ قَيْلُولَةً فِي مَكَانٍ مَا وَرَاوَدَكَ حُلْمٌ سَيِّئٌ. هَلْ عَنَيْتَ مَا قُلْتَهُ أَنَّ ذَلِكَ الْكَائِنَ الْبَشِعَ لَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ أَرْجُلٌ وَمَعَ ذَلِكَ طَارَدَكَ؟»

رَدَّ بيتر فَجْأَةً: «هَذَا مَا قُلْتُهُ بِالْفِعْلِ!» وَهُوَ غَاضِبٌ بَعْضَ الشَّيْءِ؛ لِأَنَّهُ أَدْرَكَ أَنَّ زَوْجَتَهُ لَمْ تُصَدِّقْ كَلِمَةً وَاحِدَةً مِنْ قِصَّتِهِ.

فَسَأَلَتْهُ الزَّوْجَةُ: «هَلَّا تُخْبِرُنِي رَجَاءً كَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَيُّ كَائِنٍ دَاخِلَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ أَوْ خَارِجَهَا أَيْضًا أَنْ يُطَارِدَ أَحَدًا دُونَ أَنْ يَكُونَ لَدَيْهِ أَرْجُلٌ أَوْ أَجْنِحَةٌ؛ فَأَنْتَ لَمْ تَذْكُرْ شَيْئًا بِشَأْنِ امْتِلَاكِهِ أَجْنِحَةً.»

حَكَّ بيتر رَأْسَهُ فِي حَيْرَةٍ شَدِيدَةٍ، وَخَطَرَتْ لَهُ فَجْأَةً فِكْرَةٌ سَارَّةٌ، وَسَأَلَهَا فِي انْتِصَارٍ: «إِنَّ الثُّعْبَانَ الْأَسْوَدَ يَجْرِي بِسُرْعَةٍ كَافِيَةٍ، وَلَيْسَ لَهُ أَرْجُلٌ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟»

بَدَتِ الزَّوْجَةُ مُنْزَعِجَةً قَلِيلًا، وَأَقَرَّتْ بِبُطْءٍ: «بَلَى، هُوَ لَيْسَ لَهُ أَرْجُلٌ، لَكِنِّي لَمْ أَفْهَمْ قَطُّ كَيْفَ يَجْرِي مِنْ دُونِهَا.»

رَدَّ بيتر فِي غَضَبٍ: «حَسَنًا، إِذَنْ، إِذَا كَانَ الثُّعْبَانُ يَسْتَطِيعُ التَّحَرُّكَ بِسُرْعَةٍ وَلَيْسَ لَهُ أَرْجُلٌ، فَلِمَ لَا تَسْتَطِيعُ الْكَائِنَاتُ الْأُخْرَى فِعْلَ ذَلِكَ؟ ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ الْكَائِنَ لَمْ يَرْكُضْ بِالضَّبْطِ؛ فَقَدْ كَانَ يَتَدَحْرَجُ. لَقَدْ أَخْبَرْتُكِ بِكُلِّ مَا حَدَثَ لِي، وَأَنَا الْآنَ بِحَاجَةٍ إِلَى قَيْلُولَةٍ طَوِيلَةٍ بَعْدَ كُلِّ مَا مَرَرْتُ بِهِ؛ لِذَا لَا تَدَعِي أَحَدًا يُزْعِجُنِي.»

أَجَابَتِ الزَّوْجَةُ فِي رُضُوخٍ: «حَسَنًا، لَكِنْ يَا بيتر لَوْ كُنْتُ مَكَانَكَ مَا أَخْبَرْتُ أَحَدًا آخَرَ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ.»

الفصل السادس

بيتر يَحْكِي قِصَّتَهُ مِرَارًا وَتَكْرَارًا

صُنْ لِسَانَكَ فَمَا يَخْرُجُ مِنْ شَفَتَيْكَ لَمْ يَعُدْ مِلْكَكَ؛
سَيَنْتَقِلُ بَيْنَ هَذَا وَذَاكَ حَتَّى تَأْسَفَ عَلَى نَفْسِكَ!

لِهَذَا السَّبَبِ عَلَيْكَ أَنْ تَتَأَكَّدَ دَائِمًا مِنْ أَنَّ الْقِصَّةَ الَّتِي تُرَدِّدُهَا قِصَّةٌ جَيِّدَةٌ. بَعْدَ ذَلِكَ سَتَسْعَدُ بِانْتِشَارِهَا أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ، وَلَنْ تَرْغَبَ أَبَدًا فِي اسْتِعَادَةِ مَا قُلْتَ. أَمَّا إِذَا سَرَدْتَ قِصَّةً غَيْرَ صَحِيحَةٍ أَوْ غَيْرَ مُشَوِّقَةٍ، فَسَيَأْتِي حَتْمًا وَقْتٌ تَتَمَنَّى فِيهِ التَّرَاجُعَ عَنْهَا وَلَنْ تَسْتَطِيعَ؛ فَالْقِصَصُ تُشْبِهُ الْأَنْهَارَ؛ فَهِيَ تَجْرِي وَتَجْرِي أَبَدَ الدَّهْرِ. كَانَتْ زَوْجَةُ الْأَرْنَبِ بيتر الشَّابَّةُ تَعْلَمُ ذَلِكَ، وَلِهَذَا نَصَحَتْ بيتر بِأَلَّا يُخْبِرَ أَحَدًا بِالْقِصَّةِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي أَخْبَرَهَا بِهَا عَنِ الْكَائِنِ الْغَرِيبِ الْمُفْزِعِ الَّذِي لَيْسَ لَدَيْهِ أَرْجُلٌ وَلَا رَأْسٌ وَلَا ذَيْلٌ، وَالَّذِي طَارَدَهُ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. اسْتَنْتَجَ بيتر مِنْ هَذَا أَنَّهَا لَا تُصَدِّقُ كَلِمَةً مِنَ الْقِصَّةِ، لَكِنَّهُ كَانَ مُرْهَقًا وَنَاعِسًا فَلَمْ يَسْتَطِعْ مُجَادَلَتَهَا فِي الْأَمْرِ؛ لِذَا اسْتَلْقَى فِي وَضْعٍ مُرِيحٍ اسْتِعْدَادًا لِغَفْوَةٍ طَوِيلَةٍ جَمِيلَةٍ.

عِنْدَمَا اسْتَيْقَظَ بيتر، أَوَّلُ مَا طَرَأَ عَلَى ذِهْنِهِ هُوَ ذَلِكَ الْكَائِنُ الْمُفْزِعُ الَّذِي رَآهُ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. وَكُلَّمَا زَادَ تَفْكِيرًا فِي الْقِصَّةِ، بَدَتْ أَكْثَرَ اسْتِحَالَةً، وَلَمْ يُفَكِّرْ فِي أَنَّ زَوْجَتَهُ نَصَحَتْهُ بِأَلَّا يَحْكِيَ الْقِصَّةَ مَرَّةً أُخْرَى.

قَالَ بيتر لِنَفْسِهِ: «لَنْ أَفْعَلَ، لَنْ أَحْكِيَهَا لِأَحَدٍ. فَلَنْ يُصَدِّقَهَا أَحَدٌ. فِي الْحَقِيقَةِ أَكَادُ لَا أُصَدِّقُهَا شَخْصِيًّا. سَأَصُونُ لِسَانِي.»

إِنَّمَا لِسُوءِ حَظِّ بيتر سَمِعَتْهُ إِحْدَى النَّسَمَاتِ الرَّقِيقَةِ الْمَرِحَةِ بَنَاتِ الرِّيَاحِ الْغَرْبِيَّةِ الْعَجُوزِ وَهُوَ يَحْكِي الْقِصَّةَ لِزَوْجَتِهِ، وَكَانَتْ قِصَّةً رَائِعَةً وَمُشَوِّقَةً وَمُذْهِلَةً، حَتَّى إِنَّ النَّسَمَةَ الرَّقِيقَةَ الْمَرِحَةَ كَرَّرَتْهَا عَلَى الْفَوْرِ لِكُلِّ مَنْ قَابَلَهَا فِي طَرِيقِهَا، وَسُرْعَانَ مَا بَدَأَ

الْأَرْنَبُ بيتر يَسْتَقْبِلُ زَائِرِينَ يُرِيدُونَ الِاسْتِمَاعَ إِلَى الْقِصَّةِ مَرَّةً أُخْرَى مِنْ بيتر نَفْسِهِ؛ لِذَا اضْطُرَّ بيتر إِلَى تَكْرَارِهَا مَرَّاتٍ كَثِيرَةً، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ كَانَتْ تَبْدُو لَهُ أَكْثَرَ حَمَاقَةً مِنَ الْمَرَّةِ الَّتِي تَسْبِقُهَا. كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَرْوِيَهَا لِلظَّرِبَانِ جيمي وَجُرَذِ الْأَرْضِ جوني وَفَأْرِ الْمُرُوجِ داني وَالْغُرَيْرِ حفار وَطَائِرِ السِّنْدِيَانِ سامي وَالْغُرَابِ بلاكي وَالسِّنْجَابِ الصَّغِيرِ الْمُخَطَّطِ وَالسِّنْجَابِ جاك السَّعِيدِ وَالرَّاكُونِ بوبي وَالْعَمِّ بيلي الْأَبُوسُومِ وَالْعُلْجُومِ الْعَجُوزِ.

وَالْغَرِيبُ أَنَّ أَحَدًا لَمْ يَسْخَرْ مِنْ بيتر، رَغْمَ غَرَابَةِ الْقِصَّةِ؛ فَجَمِيعُهُمْ يَذْكُرُونَ كَيْفَ سَخِرُوا مِنْهُ وَاسْتَهْزَءُوا بِهِ عِنْدَمَا أَخْبَرَهُمْ عَنْ آثَارِ الْأَقْدَامِ الْعِمْلَاقَةِ الَّتِي وَجَدَهَا دَاخِلَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، وَكَيْفَ ثَبَتَ فِيمَا بَعْدُ أَنَّهُ رَآهَا بِالْفِعْلِ؛ حَيْثُ إِنَّهَا كَانَتْ تَنْتَمِي إِلَى الدُّبِّ باستر الَّذِي جَاءَ مِنَ الْغَابَةِ الْعَظِيمَةِ لِيَعِيشَ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، وَحِينَهَا أُتِيحَتْ لِبيتر الْفُرْصَةُ لِلسُّخْرِيَةِ مِنْهُمْ؛ فَالْآنَ، رَغْمَ اسْتِحَالَةِ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْجَدِيدَةِ، فَإِنَّهُمْ لَا يَجْرُءُونَ عَلَى السُّخْرِيَةِ مِنْهَا.

قَالَ الظَّرِبَانُ جيمي: «أَنَا لَمْ أَسْمَعْ بِمِثْلِ ذَلِكَ الْمَخْلُوقِ قَطُّ، وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُصَدِّقَ بِوُجُودِ شَيْءٍ كَهَذَا، لَكِنَّ مَا يَبْدُو جَلِيًّا لِي أَنَّ بيتر رَأَى شَيْئًا غَرِيبًا؛ فَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْمَقُولَةَ الْقَدِيمَةَ إِنَّ مَنْ يَضْحَكُ أَخِيرًا يَضْحَكُ كَثِيرًا، وَأَنَا لَنْ أُعْطِيَ بيتر فُرْصَةً أُخْرَى لِلضَّحِكِ أَخِيرًا وَلِيَقُولَ لَنَا: أَلَمْ أُخْبِرْكُمْ بِذَلِكَ؟»

رَدَّ الْعُلْجُومُ الْعَجُوزُ بِجِدِّيَّةٍ: «هَذَا صَحِيحٌ لِلْغَايَةِ، رُبَّمَا رَأَى بيتر شَيْئًا غَيْرَ مَأْلُوفٍ، وَمِنْ حَمَاسِهِ بَالَغَ فِي الْأَمْرِ. مَا يُفْتَرَضُ عَلَيْنَا فِعْلُهُ هُوَ التَّأَكُّدُ مِمَّا إِذَا كَانَ يُوجَدُ غَرِيبٌ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ أَمْ لَا. فَبيتر يَقُولُ إِنَّهُ تَدَحْرَجَ مِنْ أَعْلَى التَّلِّ حَيْثُ يَعِيشُ الشَّيْهَمُ الْبَدِينُ بريكلي بوركي. يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ أَحَدٌ إِلَى بريكلي بوركي وَيَسْأَلَهُ عَمَّا يَعْرِفُهُ عَنْهُ. فَإِذَا كَانَ يُوجَدُ كَائِنٌ بَشِعٌ كَهَذَا، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَدْ رَآهُ. لِمَ لَا تَذْهَبُ وَتَسْأَلُهُ أَيُّهَا الظَّرِبَانُ جيمي؟ فَأَنْتَ لَا تَخْشَى أَيَّ أَحَدٍ أَوْ أَيَّ شَيْءٍ.»

رَدَّ جيمي سَرِيعًا: «حَسَنًا»، وَانْطَلَقَ فِي طَرِيقِهِ. فَكَمَا تَرَوْنَ، شَعَرَ جيمي بِالْفَرَحِ الشَّدِيدِ مِمَّا قَالَهُ الْعُلْجُومُ الْعَجُوزُ فِي حَقِّهِ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ رَفْضَ طَلَبِهِ؛ لِأَنَّ هَذَا سَيَجْعَلُهُ يَبْدُو كَأَنَّهُ خَائِفٌ.

الفصل السابع

الظَّرِبَانُ جيمي يَزُورُ بريكلي بوركي

تَذَمَّرَ جيمي أَثْنَاءَ سَيْرِهِ فِي تَمَهُّلٍ أَعْلَى الْممَرِّ الصَّغِيرِ الْأَوْحَدِ بِالْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى التَّلِّ حَيْثُ يَسْكُنُ الشَّيْهَمُ بريكلي بوركي، قَالَ: «سُحْقًا لِلْعُلْجُومِ الْعَجُوزِ! بِالطَّبْعِ أَنَا لَسْتُ خَائِفًا، وَلَكِنَّنِي أَيْضًا لَا أُحِبُّ التَّدَخُّلَ فِي الْأُمُورِ الَّتِي أَجْهَلُهَا؛ فَأَنَا لَا أَخَافُ مِنْ أَيِّ أَحَدٍ أَعْرِفُهُ لِأَنَّ الْجَمِيعَ يُكِنُّونَ لِيَ احْتِرَامًا كَبِيرًا، لَكِنْ رُبَّمَا يَكُونُ الْأَمْرُ مُخْتَلِفًا مَعَ كَائِنٍ مِنْ دُونِ أَرْجُلٍ أَوْ رَأْسٍ أَوْ ذَيْلٍ. مَنْ سَمِعَ بِشَيْءٍ كَهَذَا؟ يَا لَهُ مِنْ شُعُورٍ غَرِيبٍ يَتَمَلَّكُنِي تِجَاهَ هَذَا الشَّيْءِ!»

رَغْمَ ذَلِكَ تَابَعَ السَّيْرَ، وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى سَفْحِ التَّلِّ حَيْثُ يَعِيشُ بريكلي بوركي، نَظَرَ بِإِمْعَانٍ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ وَأَرْهَفَ السَّمْعَ لِالْتِقَاطِ أَيِّ أَصْوَاتٍ غَرِيبَةٍ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَلْحَظْ أَيَّ شَيْءٍ غَيْرِ عَادِيٍّ؛ فَبَدَتِ الْغَابَةُ الْخَضْرَاءُ تَمَامًا كَعَادَتِهَا؛ سَاكِنَةً وَهَادِئَةً لِلْغَايَةِ بِاسْتِثْنَاءِ صَوْتِ الصَّدَّاحِ أَحْمرِ الْعَيْنَيْنِ الَّذِي لَا يَتَوَقَّفُ عَنِ التَّغْرِيدِ تَعْبِيرًا عَنْ مَدَى سَعَادَتِهِ.

تَمْتَمَ جيمي: «لَا يَبْدُو الْأَمْرُ كَمَا لَوْ أَنَّ كَائِنًا غَرِيبًا مُفْزِعًا مَرَّ مِنْ هُنَا.»

ثُمَّ سَمِعَ صَوْتَ خَفْخَفَةٍ غَرِيبَةٍ، غَرِيبَةٍ جِدًّا، بَدَتْ قَادِمَةً مِنْ مَكَانٍ مَا أَعْلَى التَّلِّ. ابْتَسَمَ جيمي وَهُوَ يُرْهِفُ السَّمْعَ، ثُمَّ ضَحِكَ وَقَالَ: «هَذَا بريكلي بوركي يُخْبِرُ نَفْسَهُ كَمْ كَانَ طَعَامُ الْعَشَاءِ شَهِيًّا. عَجَبًا، كَمْ يُحِبُّ بَعْضُ الْأَفْرَادِ التَّحَدُّثَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ!»

طَمْأَنَتِ السَّعَادَةُ فِي صَوْتِ بريكلي بوركي الظَّرِبَانَ جيمي وَشَعَرَ بِيَقِينٍ كَبِيرٍ بِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُوجَدَ شَيْءٌ مُفْزِعٌ لِلْغَايَةِ هُنَاكَ فِي هَذَا الْوَقْتِ، عَلَى أَيِّ حَالٍ، سَارَ بِبُطْءٍ إِلَى أَعْلَى

التَّلِّ؛ فَكَمَا تَعْلَمُونَ، هُوَ لَا يُسْرِعُ الْخُطَى أَبَدًا. كَانَ مِنَ السَّهْلِ الْعُثُورُ عَلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي كَانَ يَعْمَلُ بريكلي بوركي عَلَى إِزَالَةِ لِحَائِهَا وَتَنَاوُلِهِ؛ إِذْ إِنَّهُ يُحْدِثُ ضَوْضَاءَ كَبِيرَةً.

قَالَ الظَّرِبَانُ جيمي: «مَرْحَبًا!»

لَمْ يُعِرْهُ الشَّيْهَمُ الْبَدِينُ اهْتِمَامًا؛ فَقَدْ كَانَ مُنْشَغِلًا لِلْغَايَةِ بِتَنَاوُلِ الطَّعَامِ، وَكَانَتِ الضَّوْضَاءُ عَالِيَةً أَثْنَاءَ قِيَامِهِ بِذَلِكَ، حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ جيمي عَلَى الْإِطْلَاقِ.

صَاحَ جيمي بِصَوْتٍ أَعْلَى قَلِيلًا: «مَرْحَبًا! مَرْحَبًا! هَلْ أَنْتَ أَصَمُّ؟» بِالطَّبْعِ لَمْ يَكُنْ هَذَا تَصَرُّفًا مُهَذَّبًا عَلَى الْإِطْلَاقِ، لَكِنَّ جيمي كَانَ يَشْعُرُ بِقَلِيلٍ مِنَ الْغَضَبِ بِسَبَبِ اضْطِرَارِهِ إِلَى الْقِيَامِ بِهَذِهِ الزِّيَارَةِ. فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ نَظَرَ بريكلي بوركي إِلَى الْأَسْفَلِ، وَصَاحَ: «مَرْحَبًا بِكَ أَيُّهَا الظَّرِبَانُ جيمي! تَعَالَ إِلَى أَعْلَى وَتَنَاوَلْ بَعْضًا مِنْ هَذَا اللِّحَاءِ اللَّذِيذِ مَعِي.» ثُمَّ ضَحِكَ بريكلي بوركي عَلَى دُعَابَتِهِ؛ حَيْثُ إِنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ تَمَامَ الْعِلْمِ أَنَّ جيمي لَا يَسْتَطِيعُ التَّسَلُّقَ، وَإِنِ اسْتَطَاعَ فَلَنْ يَأْكُلَ اللِّحَاءَ.

بَدَا الِاسْتِيَاءُ عَلَى وَجْهِ جيمي، وَرَدَّ: «شُكْرًا لَكَ، لَقَدْ تَنَاوَلْتُ الْعَشَاءَ لِلتَّوِّ. تَعَالَ إِلَى الْأَسْفَلِ حَيْثُ أَسْتَطِيعُ التَّحَدُّثَ مَعَكَ دُونَ أَنْ يُبَحَّ صَوْتِي.»

رَدَّ بريكلي بوركي، وَهُوَ يَنْزِعُ قِطْعَةً طَوِيلَةً مِنَ اللِّحَاءِ: «انْتَظِرْ حَتَّى أَحْصُلَ عَلَى قَضْمَةٍ أُخْرَى.» ثُمَّ نَزَلَ وَمَعَهُ هَذِهِ الْقِطْعَةُ لِيَمْضُغَهَا، ثُمَّ وَصَلَ إِلَى مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ عَلَى الشَّجَرَةِ وَاسْتَرَاحَ فِي جِلْسَتِهِ فَوْقَ فَرْعٍ كَبِيرٍ، وَتَسَاءَلَ: «الْآنَ، مَا الْأَمْرُ؟»

أَخْبَرَهُ جيمي عَلَى الْفَوْرِ بِالْقِصَّةِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي حَكَاهَا الْأَرْنَبُ بيتر. وَأَنْهَى حَدِيثَهُ: «لَقَدْ أُرْسِلْتُ إِلَى هُنَا لِمَعْرِفَةِ مَا إِذَا كُنْتَ قَدْ رَأَيْتَ كَائِنًا مِنْ دُونِ أَرْجُلٍ وَلَا رَأْسٍ وَلَا ذَيْلٍ؛ فَهَلْ حَدَثَ ذَلِكَ؟»

هَزَّ بريكلي بوركي رَأْسَهُ بِبُطْءٍ، وَقَالَ: «لَا، فَقَدْ كُنْتُ هُنَا طَوَالَ الْوَقْتِ وَلَمْ أَرَ أَيَّ كَائِنٍ كَهَذَا.»

رَدَّ جيمي: «هَذَا كُلُّ مَا أُرِيدُ مَعْرِفَتَهُ، لَا بُدَّ أَنَّ الْأَرْنَبَ بيتر أَصَابَهُ شَيْءٌ فِي عَيْنَيْهِ، وَسَأَتَّجِهُ مُبَاشَرَةً إِلَى الدَّغَلِ الْعَزِيزِ لِأُخْبِرَهُ بِذَلِكَ. أَنَا شَاكِرٌ لِلْغَايَةِ.» ثُمَّ انْطَلَقَ جيمي عَائِدًا مِنَ الطَّرِيقِ نَفْسِهِ الَّذِي جَاءَ مِنْهُ، وَأَخَذَ يَتَذَمَّرُ فِي نَفْسِهِ.

الفصل الثامن

بريكلي بوركي يَكَادُ يَخْتَنِقُ

مَا كَادَ الظَّرِبَانُ جيمي يَتَوَارَى بَعِيدًا عَنِ الْأَنْظَارِ وَالسَّمْعِ بَعْدَ قِيَامِهِ بِتِلْكَ الزِّيَارَةِ، حَتَّى سَمِعَ أَحْمَرُ الْعَيْنَيْنِ — الَّذِي كَانَ يَعِيشُ عَلَى شَجَرَةٍ تَقَعُ مُبَاشَرَةً عِنْدَ سَفْحِ التَّلِّ حَيْثُ يَعِيشُ بريكلي بوركي — ضَوْضَاءَ غَرِيبَةً لِلْغَايَةِ. كَانَ أَحْمَرُ الْعَيْنَيْنِ مُنْشَغِلًا بِإِنْشَادِ أَغَانٍ عَنْ مَدَى سَعَادَتِهِ وَجَمَالِ الطَّبِيعَةِ لِكُلِّ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْهِ. يَبْدُو أَنَّ أَحْمَرَ الْعَيْنَيْنِ يَعْتَقِدُ أَنَّ هَذِهِ هِيَ مُهِمَّتُهُ الْخَاصَّةُ فِي الْحَيَاةِ، وَأَنَّهُ وُجِدَ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ مِنْ أَجْلِ هَذَا الْهَدَفِ الْمُحَدَّدِ؛ وَهُوَ التَّغَنِّي طَوَالَ الْيَوْمِ بِالسَّعَادَةِ وَالْفَرَحِ، حَتَّى عِنْدَمَا تَشْتَدُّ حَرَارَةُ الطَّقْسِ وَتَنْسَى الطُّيُورُ الْأُخْرَى أَنْ تُغَنِّيَ. لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهِ قَطُّ أَنَّهُ يَبُثُّ السَّعَادَةَ فِي الْآخَرِينَ مِنْ خِلَالِ شُعُورِهِ الشَّخْصِيِّ بِالسَّعَادَةِ وَالتَّعْبِيرِ عَنْ ذَلِكَ.

فِي الْبِدَايَةِ لَاحَظَ بِالْكَادِ تِلْكَ الضَّوْضَاءَ الْغَرِيبَةَ، لَكِنْ عِنْدَمَا تَوَقَّفَ عَنِ الْغِنَاءِ لِبَعْضِ الْوَقْتِ لِيَسْتَرِيحَ، سَمِعَهَا بِوُضُوحٍ وَبَدَتْ غَرِيبَةً لِلْغَايَةِ حَتَّى إِنَّهُ طَارَ أَعْلَى التَّلِّ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي بَدَتْ قَادِمَةً مِنْهُ، وَهُنَاكَ وَقَعَتْ عَيْنَاهُ اللَّامِعَتَانِ عَلَى بريكلي بوركي. رَأَى عَلَى الْفَوْرِ أَنَّ بريكلي بوركي يُعَانِي مِنْ مُشْكِلَةٍ مَا، وَأَنَّهُ هُوَ مَنْ كَانَ يُصْدِرُ هَذِهِ الضَّوْضَاءَ الْغَرِيبَةَ. كَانَ بريكلي بوركي مُسْتَلْقِيًا عَلَى الْأَرْضِ أَسْفَلَ إِحْدَى الْأَشْجَارِ، وَكَانَ يَتَدَحْرَجُ وَيَرْكُلُ وَيَنْهَشُ بِمَخَالِبِهِ شَيْئًا فِي فَمِهِ الَّذِي كَانَتْ تَتَدَلَّى مِنْهُ قِطْعَةٌ صَغِيرَةٌ مِنَ اللِّحَاءِ. كَانَ مَنْظَرًا غَرِيبًا حَتَّى إِنَّ أَحْمَرَ الْعَيْنَيْنِ حَدَّقَ فِيهِ دَقِيقَةً، ثُمَّ أَدْرَكَ سَرِيعًا مَا يَعْنِيهِ ذَلِكَ؛ فَكَانَ بريكلي بوركي يَخْتَنِقُ، وَمَا لَمْ يُتَّخَذْ إِجْرَاءٌ لِمُسَاعَدَتِهِ فَرُبَّمَا يَخْتَنِقُ حَتَّى الْمَوْتِ!

لَمْ يَكُنْ بِاسْتِطَاعَةِ أَحْمَرِ الْعَيْنَيْنِ فِعْلُ شَيْءٍ لِمُسَاعَدَتِهِ؛ فَهُوَ صَغِيرٌ لِلْغَايَةِ. لَا بُدَّ أَنْ يَذْهَبَ لِإِحْضَارِ مُسَاعَدَةٍ مِنْ مَكَانٍ آخَرَ، وَيَجِبُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ سَرِيعًا. نَظَرَ فِي لَهْفَةٍ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ، لَكِنَّهُ لَمْ يَرَ أَحَدًا، ثُمَّ تَذَكَّرَ أَنَّ شَجَرَةَ الْعَمِّ بيلي الْأَبُوسُومِ الْمُجَوَّفَةَ لَا تَبْعُدُ كَثِيرًا. رُبَّمَا يَسْتَطِيعُ الْعَمُّ بيلي تَقْدِيمَ الْمُسَاعَدَةِ. تَمَنَّى أَنْ يَكُونَ الْعَمُّ بيلي فِي بَيْتِهِ، وَلَمْ يُضَيِّعْ وَقْتًا لِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ. كَانَ الْعَمُّ بيلي مَوْجُودًا فِي بَيْتِهِ، وَعِنْدَمَا سَمِعَ أَنَّ صَدِيقَهُ الْعَزِيزَ بريكلي بوركي يُوَاجِهُ مُشْكِلَةً، رَكَضَ أَعْلَى التَّلِّ بِأَسْرَعِ مَا يَسْتَطِيعُ. وَرَأَى عَلَى الْفَوْرِ طَبِيعَةَ الْمُشْكِلَةِ.

قَالَ لَهُ: «تَوَقَّفْ عَنِ الْحَرَاكِ لَحْظَةً يَا بريكلي بوركي!» إِذْ لَمْ يَجْرُؤْ عَلَى الِاقْتِرَابِ كَثِيرًا بَيْنَمَا كَانَ بريكلي بوركي يَتَدَحْرَجُ وَيَرْكُلُ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ خَوْفًا مِنْ أَنْ يُصِيبَهُ بَعْضٌ مِنْ آلَافِ الْأَشْوَاكِ الصَّغِيرَةِ الْمُخَبَّأَةِ فِي فَرْوِهِ. فَعَلَ بريكلي بوركي كَمَا قِيلَ لَهُ؛ فَكَانَ بِالْفِعْلِ وَاهِنَ الْقُوَى بِسَبَبِ صِرَاعِهِ الطَّوِيلِ وَأَسْعَدَهُ السُّكُونُ لَحْظَةً. أَمْسَكَ الْعَمُّ بيلي بِقِطْعَةِ اللِّحَاءِ الْعَالِقَةِ بِفَمِ بريكلي بوركي. ثُمَّ ثَبَّتَ نَفْسَهُ وَجَذَبَ بِكُلِّ قُوَّتِهِ. ظَلَّتْ قِطْعَةُ اللِّحَاءِ عَالِقَةً لَحْظَةً، ثُمَّ انْفَلَتَتْ فَجْأَةً حَتَّى إِنَّ الْعَمَّ بيلي سَقَطَ عَلَى ظَهْرِهِ. هَبَّ الْعَمُّ بيلي عَلَى قَدَمَيْهِ وَنَظَرَ مُعَاتِبًا بريكلي بوركي، الَّذِي اسْتَلْقَى مُتَقَطِّعَ الْأَنْفَاسِ وَدُمُوعٌ غَزِيرَةٌ تَنْهَمِرُ عَلَى وَجْهِهِ.

قَالَ الْعَمُّ بيلي وَهُوَ يَهُزُّ رَأْسَهُ: «أَنَا قَطْعًا مُنْدَهِشٌ يَا بريكلي بوركي، أَنَا قَطْعًا مُنْدَهِشٌ مِنْ أَنْ يَصِلَ بِكَ الطَّمَعُ إِلَى أَنْ تَخْنُقَ نَفْسَكَ بِالطَّعَامِ.»

ابْتَسَمَ بريكلي بوركي بِوَهَنٍ وَحَمَاقَةٍ، وَرَدَّ: «لَمْ يَكُنْ طَمَعًا يَا عَمُّ بيلي، لَمْ يَكُنْ طَمَعًا عَلَى الْإِطْلَاقِ.»

فَسَأَلَ الْعَمُّ بيلي بِحِدَّةٍ: «هَلْ لِي أَنْ أَسْأَلَ مَاذَا كَانَ إِذَنْ؟»

شَرَحَ بريكلي بوركي لَهُ قَائِلًا: «فَكَّرْتُ فِي شَيْءٍ مُضْحِكٍ فِي مُنْتَصَفِ تَنَاوُلِي لِوَجْبَتِي، وَضَحِكْتُ وَأَنَا أَبْدَأُ فِي الْبَلْعِ فَسَلَكَتْ قِطْعَةُ اللِّحَاءِ الطَّرِيقَ الْخَطَأَ.» ثُمَّ بَدَا أَنَّ مُجَرَّدَ التَّفْكِيرِ فِي الشَّيْءِ الَّذِي دَفَعَهُ إِلَى الضَّحِكِ مِنْ قَبْلُ كَانَ كَفِيلًا بِأَنْ يَجْعَلَهُ يَضْحَكُ مِنْ جَدِيدٍ؛ فَأَخَذَ يَضْحَكُ بِشِدَّةٍ، حَتَّى نَفِدَ صَبْرُ الْعَمِّ بيلي أَخِيرًا.

فَقَالَ فِي غَضَبٍ: «لَقَدْ أَصْبَحْتَ قَطْعًا سَيِّئَ السُّلُوكِ يَا بريكلي بوركي.»

مَسَحَ بريكلي بوركي الدُّمُوعَ مِنْ عَيْنَيْهِ، وَقَالَ: «اقْتَرِبْ حَتَّى أَهْمِسَ فِي أُذُنَيْكَ يَا عَمُّ بيلي.»

اقْتَرَبَ الْعَمُّ بيلي بِارْتِيَابٍ عَلَى مَسَافَةٍ كَافِيَةٍ تُمَكِّنُ بريكلي بوركي مِنَ الْهَمْسِ، وَعِنْدَمَا انْتَهَى بريكلي بوركي كَانَ الْعَمُّ بيلي يُجَفِّفُ دُمُوعَ الضَّحِكِ مِنْ عَيْنَيْهِ.

الفصل التاسع

رِوَايَتَانِ مُخْتَلِفَتَانِ لِلظَّرِبَانِ جيمي وَالْعَمِّ بيلي الْأَبُوسُومِ

لَمْ يَدْرِ سُكَّانُ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَالْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ الصِّغَارُ مَاذَا يُصَدِّقُونَ. فِي الْبِدَايَةِ جَاءَ الْأَرْنَبُ بيتر لِيَرْوِيَ أَغْرَبَ أَنْوَاعِ الْقِصَصِ عَنْ مُطَارَدَةِ كَائِنٍ رَهِيبٍ لَيْسَ لَهُ أَرْجُلٌ وَلَا رَأْسٌ وَلَا ذَيْلٌ. قَالَ إِنَّهُ نَزَلَ مِنْ فَوْقِ التَّلِّ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ الشَّيْهَمُ الْبَدِينُ بريكلي بوركي فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. فَأُرْسِلَ الظَّرِبَانُ جيمي لِيَزُورَ بريكلي بوركي وَيَسْأَلَهُ إِذَا كَانَ قَدْ رَأَى أَيَّ كَائِنٍ غَرِيبٍ كَالَّذِي أَخْبَرَهُمْ عَنْهُ الْأَرْنَبُ بيتر. قَالَ بريكلي بوركي إِنَّهُ لَمْ يَرَ أَيَّ غَرِيبٍ فِي هَذَا الْجُزْءِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، وَعَادَ جيمي مُبَاشَرَةً إِلَى الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَأَخْبَرَ كُلَّ أَصْدِقَائِهِ هُنَاكَ بِأَنَّ الْأَرْنَبَ بيتر لَا بُدَّ أَنَّهُ يُعَانِي مِنْ خَطْبٍ مَا فِي عَيْنَيْهِ، أَوْ أَنَّهُ فَقَدَ صَوَابَهُ؛ حَيْثُ إِنَّ بريكلي بوركي لَمْ يَغِبْ عَنْ بَيْتِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَرَ شَيْئًا غَيْرَ عَادِيٍّ.

فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ كَانَ الْعَمُّ بيلي الْأَبُوسُومُ يَتَجَوَّلُ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ يُخْبِرُ كُلَّ مَنْ يُقَابِلُهُ بِأَنَّهُ زَارَ الشَّيْهَمَ بريكلي بوركي، وَأَنَّ بريكلي بوركي أَخْبَرَهُ بِأَنَّ الْأَرْنَبَ بيتر رَأَى بِلَا شَكٍّ شَيْئًا غَرِيبًا. بِالطَّبْعِ انْتَشَرَتْ عَلَى الْفَوْرِ قِصَّةُ الظَّرِبَانِ جيمي عَبْرَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، وَانْتَشَرَتْ قِصَّةُ الْعَمِّ بيلي الْأَبُوسُومِ عَلَى الْفَوْرِ عَبْرَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ؛ لِذَا لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ أَيُّ رِوَايَةٍ يَجِبُ تَصْدِيقُهَا أَوْ تَأَمُّلُهَا. فَإِذَا كَانَ الظَّرِبَانُ جيمي مُحِقًّا، فَإِنَّ قِصَّةَ الْأَرْنَبِ بيتر الْغَرِيبَةَ لَمْ تَكُنْ لِتُصَدَّقَ فِي الْأَسَاسِ. وَإِذَا كَانَ الْعَمُّ بيلي مُحِقًّا، فَإِنَّ قِصَّةَ بيتر لَيْسَتْ بِالْجُنُونِ الَّذِي بَدَتْ عَلَيْهِ.

بِالطَّبْعِ تَسَبَّبَ هَذَا الْأَمْرُ فِي قَدْرٍ كَبِيرٍ مِنَ الْجِدَالِ وَأَثَارَ الْفُضُولَ، وَبَدَأَ مَنْ يَتَحَلَّوْنَ بِأَكْبَرِ قِسْطٍ مِنَ الشَّجَاعَةِ فِي زِيَارَةِ التَّلِّ حَيْثُ يَعِيشُ الشَّيْهَمُ بريكلي بوركي لِيَتَحَقَّقُوا مِنْ وُجُودِ أَيِّ شَيْءٍ غَيْرِ مَأْلُوفٍ بِأَنْفُسِهِمْ. لَكِنَّهُمْ كَانُوا يَجِدُونَ دَائِمًا ذَلِكَ الْجُزْءَ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ كَمَا عَهِدُوهُ دَوْمًا. وَإِنْ رَأَوْا بريكلي بوركي فَدَائِمًا مَا كَانُوا يَجِدُونَهُ مُسْتَغْرِقًا فِي النَّوْمِ، وَلَمْ يَشَأْ أَحَدٌ أَنْ يُوقِظَهُ مِنْ أَجْلِ طَرْحِ أَسْئِلَةٍ عَلَيْهِ. وَشَيْئًا فَشَيْئًا بَدَءُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الظَّرِبَانَ جيمي كَانَ مُحِقًّا، وَأَنَّ الْكَائِنَ الرَّهِيبَ الَّذِي رَآهُ الْأَرْنَبُ بيتر لَا وُجُودَ لَهُ سِوَى فِي مُخَيِّلَتِهِ.

فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ تَقْرِيبًا حَكَى الْعَمُّ بيلي عَنْ تَعَرُّضِهِ لِتَجْرِبَةٍ تُشْبِهُ تَمَامًا تِلْكَ الَّتِي تَعَرَّضَ لَهَا بيتر. وَمَا حَدَثَ لِبيتر، حَدَثَ مَعَهُ تَمَامًا، وَذَلِكَ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ، أَثْنَاءَ مُرُورِهِ بِسَفْحِ التَّلِّ حَيْثُ يَسْكُنُ بريكلي بوركي.

قَالَ الْعَمُّ بيلي: «أَثْنَاءَ مُرُورِي مِنْ هُنَاكَ غَيْرَ مُبَالٍ بِمَا حَوْلِي، سَمِعْتُ ضَوْضَاءَ أَعْلَى التَّلِّ خَلْفِي. وَعِنْدَمَا نَظَرْتُ إِلَى أَعْلَى، وَجَدْتُ شَيْئًا مُتَّجِهًا نَحْوِي مُبَاشَرَةً مِنْ أَعْلَى، وَلَمْ أَسْتَطِعْ رُؤْيَةَ أَيَّةِ أَرْجُلٍ أَوْ رَأْسٍ أَوْ ذَيْلٍ لِذَلِكَ الْكَائِنِ.»

سَأَلَ الرَّاكُونُ بوبي: «مَاذَا فَعَلْتَ يَا عَمُّ بيلي؟»

رَدَّ الْعَمُّ بيلي وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الدَّائِرَةِ الصَّغِيرَةِ الْمُجْتَمِعَةِ حَوْلَهُ مِنْ سُكَّانِ الْغَابَةِ وَالْمُرُوجِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ بِأَعْيُنٍ مُتَّسِعَةٍ وَأَفْوَاهٍ فَاغِرَةٍ: «مَاذَا فَعَلْتُ؟ فَعَلْتُ مَا كُنْتُمْ سَتَفْعَلُونَهُ جَمِيعًا، رَكَضْتُ! نَعَمْ، رَكَضْتُ بِالْفِعْلِ، وَلَمْ أَلْتَفِتْ حَوْلِي إِلَّا عِنْدَمَا أَصْبَحْتُ آمِنًا فِي شَجَرَتِي الْمُجَوَّفَةِ.»

سَخِرَ الثَّعْلَبُ ريدي، الَّذِي كَانَ يَسْتَمِعُ، وَقَالَ: «وَاهْ! يَا لَكَ مِنْ جَبَانٍ! لَوْ كُنْتُ مَكَانَكَ، مَا رَكَضْتُ! كُنْتُ سَأَنْتَظِرُ وَأَعْرِفُ مَا هُوَ. فَأَنْتَ وَالْأَرْنَبُ بيتر تَتَّسِمَانِ بِالْجُبْنِ الشَّدِيدِ.»

رَدَّ الْعَمُّ بيلي: «أَنْتَ نَفْسُكَ لَا تَجْرُؤُ عَلَى الذَّهَابِ إِلَى هُنَاكَ فَجْرَ الْغَدِ.»

قَالَ ريدي فِي غَضَبٍ: «بِالطَّبْعِ أَسْتَطِيعُ!» رَغْمَ عَدَمِ وُجُودِ نِيَّةٍ لَدَيْهِ لِلذَّهَابِ إِلَى هُنَاكَ مُطْلَقًا.

قَالَ الْعَمُّ بيلي: «حَسَنًا. سَأَمْكُثُ فِي شَجَرَةٍ تَتَسَنَّى لِيَ الْمُرَاقَبَةُ مِنْهَا غَدًا صَبَاحًا لِأَرَى إِذَا كَانَ كَلَامُكَ يَعْكِسُ شَجَاعَتَكَ أَمْ لَا.»

عِنْدَهَا عَلِمَ ريدي أَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَذْهَبَ وَإِلَّا فَسَيُطْلَقُ عَلَيْهِ جَبَانٌ. فَرَدَّ غَاضِبًا وَهُوَ يَتَسَلَّلُ مُبْتَعِدًا: «سَأَكُونُ هُنَاكَ.»

الفصل العاشر

سِرُّ الْعَمِّ بيلي الْأَبُوسُومِ لِلظَّرِبَانِ جيمي

تَأَكَّدْ قَبْلَ أَنْ تَهْجُرَ صَدِيقًا
أَنَّكَ لَمْ تَفْعَلْ شَيْئًا مُسِيئًا.

يَسْتَحِقُّ الصَّدِيقُ دَائِمًا الْحِفَاظَ عَلَيْهِ. يُرَدِّدُ الْعَمُّ بيلي الْأَبُوسُومُ ذَلِكَ وَهُوَ يَعِيهِ جَيِّدًا؛ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ ذَلِكَ؛ فَقَدِ اكْتَسَبَ الْعَدِيدَ مِنَ الصَّدَاقَاتِ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، رَغْمَ الْحِيَلِ الَّتِي دَبَّرَهَا وَالْخُدَعِ الَّتِي لَعِبَهَا. وَعِنْدَمَا يُقِيمُ الْعَمُّ بيلي صَدَاقَةً، فَإِنَّهُ يُحَافِظُ عَلَيْهَا. فَيَقُولُ إِنَّ الِاحْتِفَاظَ بِصَدِيقٍ أَسْهَلُ وَأَفْضَلُ مِنِ اكْتِسَابِ صَدَاقَةٍ جَدِيدَةٍ. وَهَذَا هُوَ أُسْلُوبُ تَعَامُلِهِ مَعَ الْأَمْرِ؛ فَعِنْدَمَا يَعْلَمُ أَنَّ صَدِيقًا مَا غَاضِبٌ مِنْهُ، يَرْفُضُ أَنْ يَغْضَبَ هُوَ نَفْسُهُ. بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ، يَذْهَبُ إِلَى ذَلِكَ الصَّدِيقِ وَيَعْرِفُ الْمُشْكِلَةَ، وَيَحُلُّهَا بِالنِّقَاشِ، ثُمَّ يُقَدِّمُ شَيْئًا لَطِيفًا لِذَلِكَ الصَّدِيقِ.

كَانَ الظَّرِبَانُ جيمي وَالْعَمُّ بيلي صَدِيقَيْنِ مُنْذُ وَقْتِ قُدُومِ الْعَمِّ بيلي مِنْ غَابَاتِ فيرجينيا الْعَتِيقَةِ لِيَعِيشَ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. فِي الْوَاقِعِ اشْتَرَكَا مَعًا فِي سَرِقَةِ الْبَيْضِ مِنْ حَظِيرَةِ دَجَاجِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون؛ لِذَا عِنْدَمَا أَخْبَرَ الظَّرِبَانُ جيمي — الَّذِي قَامَ بِزِيَارَةٍ خَاصَّةٍ إِلَى بريكلي بوركي لِمَعْرِفَةِ مَا إِذَا كَانَ قَدْ رَأَى كَائِنًا غَرِيبًا بِلَا رَأْسٍ أَوْ ذَيْلٍ أَوْ أَرْجُلٍ — الْجَمِيعَ بِأَنَّ بريكلي بوركي لَمْ يَرَ كَائِنًا بِهَذَا الشَّكْلِ، انْزَعَجَ لِلْغَايَةِ وَشَعَرَ بِاسْتِيَاءٍ شَدِيدٍ عِنْدَمَا سَمِعَ أَنَّ الْعَمَّ بيلي كَانَ يُخْبِرُ الْجَمِيعَ أَنَّ بريكلي بوركي يَقُولُ إِنَّ قِصَّةَ بيتر الْغَرِيبَةَ رُبَّمَا لَهَا أَسَاسٌ مِنَ الصِّحَّةِ. فَبَدَا لَهُ إِمَّا أَنَّ بريكلي بوركي كَذَبَ عَلَيْهِ أَوْ أَنَّ الْعَمَّ بيلي يَكْذِبُ. أَغْضَبَهُ ذَلِكَ كَثِيرًا.

الْتَقَى الْعَمُّ بيلي، فِي عَصْرِ الْيَوْمِ الَّذِي تَحَدَّى فِيهِ الثَّعْلَبَ ريدي لِلذَّهَابِ إِلَى التَّلِّ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي حَيْثُ يَعِيشُ بريكلي بوركي، بِالظَّرِبَانِ جيمي وَهُوَ قَادِمٌ مِنَ الْمَمَرِّ الصَّغِيرِ الْمُتَعَرِّجِ. قَطَّبَ جيمي جَبِينَهُ وَقَرَّرَ الْمُرُورَ دُونَ التَّحَدُّثِ إِلَى الْعَمِّ بيلي. لَمَعَتْ عَيْنَا الْعَمِّ بيلي الثَّاقِبَتَانِ، وَابْتَسَمَ ابْتِسَامَةً عَرِيضَةً، فَالْعَمُّ بيلي لَا يَسْتَطِيعُ سِوَى الِابْتِسَامِ، وَقَالَ: «مَرْحَبًا، كَيْفَ حَالُكَ يَا أَخِي الظَّرِبَانَ؟»

مَا كَانَ مِنْ جيمي إِلَّا أَنْ قَطَّبَ جَبِينَهُ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى وَحَاوَلَ الْمُرُورَ.

كَرَّرَ الْعَمُّ بيلي الْأَبُوسُومُ كَلَامَهُ: «مَرْحَبًا، كَيْفَ حَالُكَ يَا أَخِي الظَّرِبَانَ؟ لَا بُدَّ أَنَّ شَيْئًا مَا يَدُورُ فِي ذِهْنِكَ.»

تَوَقَّفَ الظَّرِبَانُ جيمي، وَانْدَفَعَ قَائِلًا: «بِالْفِعْلِ! فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ هَلْ أَنْتَ تَكْذِبُ أَمْ بريكلي بوركي؛ فَقَدْ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ لَمْ يَرَ شَيْئًا يُشْبِهُ الَّذِي قَالَ الْأَرْنَبُ بيتر إِنَّهُ طَارَدَهُ، وَأَنْتَ تُخْبِرُ الْجَمِيعَ كَيْفَ أَخْبَرَكَ بِأَنَّ قِصَّةَ بيتر السَّخِيفَةَ رُبَّمَا لَهَا أَسَاسٌ مِنَ الصِّحَّةِ. إِذَا رَأَى الْأَرْنَبُ بيتر هَذَا الشَّيْءَ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَعْرِفَ بريكلي بوركي بِذَلِكَ؛ فَهُوَ لَمْ يُغَادِرْ مَنْزِلَهُ هَذَا الصَّيْفَ. وَلِمَاذَا أَخْبَرَنِي أَنَّهُ لَمْ يَرَهُ إِذَا كَانَ قَدْ رَآهُ بِالْفِعْلِ؟»

رَدَّ الْعَمُّ بيلي مُحَاوِلًا أَنْ يُهَدِّئَ مِنْ رَوْعِهِ: «لَا تَكُنْ سَرِيعَ الْغَضَبِ يَا أَخِي الظَّرِبَانَ، لَا تَكُنْ سَرِيعَ الْغَضَبِ؛ فَأَنَا لَمْ أَقُلْ إِنَّ بريكلي بوركي أَخْبَرَنِي بِأَنَّهُ رَأَى الشَّيْءَ الَّذِي يَقُولُ بيتر إِنَّهُ طَارَدَهُ؛ فَهُوَ قَالَ الْحَقِيقَةَ عِنْدَمَا أَخْبَرَكَ بِأَنَّهُ لَمْ يَرَ أَيَّ غَرِيبٍ فِي أَنْحَاءِ تَلِّهِ. فَمَا أَخْبَرَنِي بِهِ هُوَ ...» هُنَا هَمَسَ الْعَمُّ بيلي.

انْفَرَجَ وَجْهُ الظَّرِبَانِ جيمي وَقَالَ: «لَقَدِ اخْتَلَفَ الْأَمْرُ.»

رَدَّ الْعَمُّ بيلي: «بِالطَّبْعِ، الْأَمْرُ مُخْتَلِفٌ؛ فَكَمَا تَرَى، لَقَدْ رَأَى بيتر بِالْفِعْلِ شَيْئًا غَرِيبًا، وَلَكِنَّ بريكلي بوركي لَمْ يَرَهُ بِنَفْسِهِ. وَقَدْ رَأَيْتُ ذَلِكَ الشَّيْءَ الْغَرِيبَ بِنَفْسِي، وَالْآنَ أَنَا أَدْعُوكَ لِلذَّهَابِ إِلَى سَفْحِ تَلِّ بريكلي بوركي عِنْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ فِي صَبَاحِ الْغَدِ وَسَتَرَى مَا سَيَحْدُثُ عِنْدَمَا يُحَاوِلُ الثَّعْلَبُ إِظْهَارَ مَدَى شَجَاعَتِهِ. لَكِنْ لَا تَنْسَ أَنَّهُ سِرٌّ.»

حِينَئِذٍ كَانَ جيمي يَضْحَكُ ضَحْكَةً خَافِتَةً، وَوَعَدَ بيلي قَائِلًا: «لَنْ أَنْسَى، سَأَكُونُ هُنَاكَ. وَأَنَا سَعِيدٌ بِمَعْرِفَةِ أَنْ لَا أَحَدَ كَانَ يَكْذِبُ، وَمَعْذِرَةً أَيُّهَا الْعَمُّ بيلي عَلَى ظَنِّي بِكَ أَنَّكَ رُبَّمَا كُنْتَ تَكْذِبُ.»

رَدَّ الْعَمُّ بيلي: «لَا عَلَيْكَ يَا أَخِي الظَّرِبَانَ، لَا عَلَيْكَ. سَأَبْحَثُ عَنْكَ فِي صَبَاحِ الْغَدِ.» وَغَمَزَ لَهُ فِي خُبْثٍ؛ مِمَّا جَعَلَهُ يَضْحَكُ بِصَوْتٍ عَالٍ.

الفصل الحادي عشر

مَاذَا حَدَثَ لِلثَّعْلَبِ ريدي؟

تَمَنَّى الثَّعْلَبُ ريدي كَثِيرًا لَوْ أَنَّهُ صَانَ لِسَانَهُ وَلَمْ يَقُلْ إِنَّهُ لَا يَخْشَى مُقَابَلَةَ الْكَائِنِ الْغَرِيبِ الَّذِي بَثَّ الذُّعْرَ فِي الْأَرْنَبِ بيتر. فَعِنْدَمَا تَبَاهَى بِأَنَّهُ كَانَ سَيَقِفُ وَيَعْرِفُ مَاهِيَّةَ ذَلِكَ الْكَائِنِ إِذَا صَادَفَ أَنْ قَابَلَهُ، لَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ أَيَّةُ نِيَّةٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ لِفِعْلِ شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ؛ فَقَدْ كَانَ يَتَبَاهَى دُونَ سَبَبٍ لَا أَكْثَرَ وَلَا أَقَلَّ. فَالثَّعْلَبُ ريدي وَاحِدٌ مِنْ أَكْبَرِ الْمُتَبَاهِينَ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ أَوْ فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ؛ فَهُوَ يُحِبُّ السَّيْرَ بِخُيَلَاءَ وَالتَّبَجُّحَ. إِلَّا أَنَّهُ، شَأْنُهُ شَأْنُ كُلِّ الْمُتَبَاهِينَ، كَانَ جَبَانًا فِي الْأَسَاسِ.

كَانَ الْعَمُّ بيلي الْأَبُوسُومُ يَعْلَمُ ذَلِكَ؛ وَلِهَذَا تَحَدَّى ريدي لِلذَّهَابِ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي إِلَى سَفْحِ التَّلِّ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ بريكلي بوركي، وَحَيْثُ مَرَّ الْأَرْنَبُ بيتر بِحَادِثَتِهِ الْغَرِيبَةِ، وَحَيْثُ ادَّعَى الْعَمُّ بيلي نَفْسُهُ أَنَّهُ رَأَى الْكَائِنَ الْغَرِيبَ نَفْسَهُ الَّذِي لَيْسَ لَدَيْهِ رَأْسٌ أَوْ ذَيْلٌ أَوْ أَرْجُلٌ، وَالَّذِي أَخَافَ بيتر كَثِيرًا. قَالَ الْعَمُّ بيلي إِنَّهُ سَيَكُونُ مَوْجُودًا هُنَاكَ بِنَفْسِهِ فِي أَعْلَى شَجَرَةٍ يَسْتَطِيعُ مِنْهَا رُؤْيَةَ مَا إِذَا حَضَرَ ريدي فِعْلِيًّا أَمْ لَا، لِذَا لَمْ يَكُنْ أَمَامَ ريدي سِوَى الذَّهَابِ إِلَى هُنَاكَ وَالْوَفَاءِ بِمَا تَفَاخَرَ بِهِ إِذَا ظَهَرَ الْكَائِنُ الْغَرِيبُ؛ فَقَدْ سَمِعَهُ عَدَدٌ مِنَ السُّكَّانِ الصِّغَارِ وَهُوَ يَتَفَاخَرُ بِمَا كَانَ سَيَفْعَلُهُ، وَسَمِعُوا الْعَمَّ بيلي يَتَحَدَّاهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَفِ بِمَا قَالَهُ، فَلَنْ يَكُفَّ جَمِيعُ مَنْ حَوْلَهُ عَنِ الْحَدِيثِ فِي الْأَمْرِ وَسَيَصِفُونَهُ بِالْجُبَانِ.

لَمْ يَنْعَمْ ريدي بِنَوْمٍ هَانِئٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ عَصْرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَعِنْدَمَا غَادَرَ بَيْتَهُ وَقْتَ الْغَسَقِ لِصَيْدِ طَعَامِ الْعَشَاءِ، وَجَدَ أَنَّهُ فَقَدَ شَهِيَّتَهُ. وَبَدَلًا مِنَ الصَّيْدِ، أَمْضَى مُعْظَمَ اللَّيْلِ

وَهُوَ يُحَاوِلُ أَنْ يُفَكِّرَ فِي سَبَبٍ وَجِيهٍ يَمْنَعُهُ مِنَ الذَّهَابِ إِلَى تَلِّ بريكلي بوركي عِنْدَ بُزُوغِ الْفَجْرِ. لَكِنْ مَعَ كُلِّ مَا فَكَّرَ بِهِ مِنْ حِيَلٍ، لَمْ يَتَوَصَّلْ إِلَى عُذْرٍ وَاحِدٍ يَبْدُو مَنْطِقِيًّا. قَالَ فِي نَفْسِهِ: «لَوْلَا أَنَّ كَلْبَ الصَّيْدِ باوزر يُقَيَّدُ فِي الْمَسَاءِ، لَكُنْتُ جَعَلْتُهُ يُطَارِدُنِي، وَعِنْدَهَا كَانَ سَيُصْبِحُ لَدَيَّ أَفْضَلُ عُذْرٍ.» لَكِنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ باوزر مُقَيَّدٌ. وَمَعَ ذَلِكَ ذَهَبَ إِلَى فِنَاءِ الْمُزَارِعِ براون لِلتَّأَكُّدِ. كَانَ باوزر مُقَيَّدًا تَمَامًا كَمَا تَوَقَّعَ.

تَسَلَّلَ ريدي مُبْتَعِدًا دُونَ أَنْ يُلْقِيَ نَظْرَةً وَاحِدَةً عَلَى حَظِيرَةِ دَجَاجِ الْمُزَارِعِ براون. فَلَمْ يَلْحَظْ أَنَّ الْبَابَ تُرِكَ مَفْتُوحًا بِشَكْلٍ مُهْمَلٍ، وَحَتَّى لَوْ كَانَ رَأَى ذَلِكَ لَمَا شَكَّلَ فَرْقًا لَدَيْهِ؛ فَلَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ شَهِيَّةٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ. فَلَمْ يَكُنِ الثَّعْلَبُ ريدي لِيَرْغَبَ فِي تَنَاوُلِ دَجَاجَةٍ سَمِينَةٍ لِلْغَايَةِ حَتَّى وَإِنْ كَانَتْ أَمَامَهُ مُبَاشَرَةً. فَكُلُّ مَا يَدُورُ بِخَلَدِهِ كَانَ الْقِصَّةَ الْغَرِيبَةَ الَّتِي رَوَاهَا الْأَرْنَبُ بيتر وَالْعَمُّ بيلي الْأَبُوسُومُ، وَالْمَأْزِقَ الَّذِي أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهِ بِتَفَاخُرِهِ الْأَحْمَقِ. أَخَذَ يَتَجَوَّلُ فِي قَلَقٍ فِي انْتِظَارِ بُزُوغِ الْفَجْرِ، وَتَمَنَّى أَنْ يَظْهَرَ شَيْءٌ يَمْنَعُهُ مِنَ الذَّهَابِ إِلَى تَلِّ بريكلي بوركي. لَمْ يَجْرُؤْ عَلَى أَنْ يُخْبِرَ الْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ بِهَذَا؛ فَكَانَ يَعْلَمُ تَمَامَ الْعِلْمِ مَا سَتُخْبِرُهُ بِهِ، وَكَانَ كَمَا لَوْ أَنَّهُ يَسْمَعُ صَوْتَهَا الْحَادَّ وَالْكَلِمَاتِ التَّالِيَةَ:

«هَذَا جَزَاءُ تَفَاخُرِكَ بِشَيْءٍ لَا تَعْلَمُ عَنْهُ شَيْئًا. كَمْ مَرَّةٍ أَخْبَرْتُكَ أَنَّهُ لَا خَيْرَ يَأْتِي مِنْ وَرَاءِ التَّفَاخُرِ! فَالثَّعْلَبُ الْحَكِيمُ لَا يَقْتَرِبُ أَبَدًا مِنَ الْأَشْيَاءِ الْغَرِيبَةِ حَتَّى يَعْرِفَ كُلَّ شَيْءٍ عَنْهَا. هَذَا هُوَ السَّبِيلُ الْوَحِيدُ لِلْبُعْدِ عَنِ الْمَشَاكِلِ وَالْبَقَاءِ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ لِعُمْرٍ مَدِيدٍ. فَالْحِكْمَةُ هِيَ الْإِلْمَامُ بِالْأُمُورِ، وَالثَّعْلَبُ الْحَكِيمُ دَائِمًا يَعِي مَا يَفْعَلُ.»

لِذَا هَامَ ريدي عَلَى وَجْهِهِ طَوَالَ اللَّيْلِ. بَدَتِ اللَّيْلَةُ كَأَنَّهَا لَنْ تَمُرَّ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ يَتَمَنَّى أَنْ تَظَلَّ لِلْأَبَدِ. فَكُلَّمَا فَكَّرَ فِي الْأَمْرِ، زَادَ خَوْفُهُ. فِي النِّهَايَةِ رَأَى الْأَشِعَّةَ الْأُولَى لِقُرْصِ الشَّمْسِ الْأَحْمَرِ الْمُسْتَدِيرِ تَتَسَلَّلُ عَبْرَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. وَالْآنَ حَانَ الْوَقْتُ الْمُحَدَّدُ، وَعَلَيْهِ الِاخْتِيَارُ بَيْنَ الْوَفَاءِ بِمَا تَفَاخَرَ بِهِ أَوْ تَلْقِيبِ الْجَمِيعِ لَهُ بِالْجَبَانِ. سَارَ الثَّعْلَبُ ريدي بِخُطًى بَطِيئَةٍ لِلْغَايَةِ نَحْوَ التَّلِّ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ بريكلي بوركي.

الفصل الثاني عشر

مَاذَا رَأَى الثَّعْلَبُ ريدي، وَمَاذَا فَعَلَ؟

مَنْ يَصُنْ لِسَانَهُ
يَحْفَظْ مَقَامَهُ،
وَالْمَتَاعِبَ وَالْمُشْكِلَاتِ يَقْهَرْ،
وَالْخَوْفَ وَالْقَلَقَ يَدْحَرْ.

لِسُوءِ الْحَظِّ تَذْكُرُ الْغَالِبِيَّةُ الْعُظْمَى مِنَ الْأَفْرَادِ هَذَا الْأَمْرَ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ. وَالثَّعْلَبُ ريدي مِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ؛ فَهُوَ ذَكِيٌّ وَمَاكِرٌ وَبَارِعٌ بِطَرِيقَةٍ أَوْ بِأُخْرَى، لَكِنَّهُ لَمْ يَتَعَلَّمْ إِلَى الْآنَ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ، وَقَدْرٌ كَبِيرٌ مِنَ الْمَتَاعِبِ الَّتِي يَتَوَرَّطُ فِيهَا تَكُونُ بِسَبَبِ لِسَانِهِ السَّلِيطِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ التَّحَكُّمَ فِيهِ؛ فَكَمَا تَرَوْنَ، لَا يَنْطِقُ لِسَانُهُ إِلَّا بِالتَّبَجُّحِ وَالْكَذِبِ، وَالتَّبَجُّحُ عِنْدَمَا يَقْتَرِنُ بِالْكَذِبِ لَا يَجْلِبَانِ سِوَى أَشَدِّ الْمَتَاعِبِ عَلَى الْإِطْلَاقِ. أَوْقَعَهُ لِسَانُهُ فِي شَتَّى الْمَآزِقِ فِي الْمَاضِي، وَالْآنَ أَصْبَحَ فِي مَأْزِقٍ آخَرَ؛ كُلُّ هَذَا بِسَبَبِ هَذَا اللِّسَانِ.

أَزَاحَ قُرْصُ الشَّمْسِ الْأَحْمَرُ الْمُسْتَدِيرُ سَتَائِرَهُ الْوَرْدِيَّةَ وَنَشَرَ ابْتِسَامَتَهُ فِي رُبُوعِ الْأَرْضِ الْفَسِيحَةِ أَثْنَاءَ صُعُودِهِ أَعَالِيَ السَّمَاءِ الزَّرْقَاءِ. تَرَاقَصَتْ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ بِالْفِعْلِ فِي أَنْحَاءِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، تُطَارِدُ الظِّلَالَ السَّوْدَاءَ، وَعَلِمَ ريدي أَنَّهُ حَانَ وَقْتُ ذَهَابِهِ إِلَى التَّلِّ حَيْثُ يَعِيشُ بريكلي بوركي. تَسَلَّلَ بِخُطًى مُتَثَاقِلَةٍ مِنْ شَجَرَةٍ إِلَى أُخْرَى مُخْتَلِسًا النَّظَرَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ وَاحِدَةٍ بِقَلَقٍ، خَائِفًا مِنَ الْمُضِيِّ قُدُمًا، وَلَكِنَّ خَوْفَهُ مِنْ عَدَمِ الذَّهَابِ إِلَى هُنَاكَ وَنَعْتِ الْآخَرِينَ لَهُ بِالْجَبَانِ كَانَ أَشَدَّ.

وَصَلَ تَقْرِيبًا إِلَى سَفْحِ التَّلِّ دُونَ أَنْ يَرَى أَيَّ شَيْءٍ غَيْرِ مُعْتَادٍ وَدُونَ أَيِّ أَثَرٍ لِلْعَمِّ بيلي الْأَبُوسُومِ. وَعِنْدَمَا بَدَأَ يَشْعُرُ بِأَمَلٍ دَاخَلَهُ أَنَّهُ لَنْ يَجِدَ الْعَمَّ بيلي هُنَاكَ كَمَا قَالَ إِنَّهُ سَيَفْعَلُ، ثُمَّ سَمِعَ صَوْتًا مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ يَقُولُ:

«أَنَا سَعِيدٌ حَقًّا لِأَنَّكَ وَفَّيْتَ بِوَعْدِكَ أَيُّهَا الثَّعْلَبُ؛ فَنَحْنُ بِحَاجَةٍ إِلَى شُجَاعٍ مِثْلِكَ لِيَكْتَشِفَ مَاهِيَّةَ هَذَا الْكَائِنِ الْغَرِيبِ الَّذِي طَارَدَنَا.»

نَظَرَ ريدي إِلَى أَعْلَى بِابْتِسَامَةٍ بَاهِتَةٍ. وَجَدَ الْعَمَّ بيلي الْأَبُوسُومَ يَجْلِسُ دَاخِلَ شَجَرَةِ صَنَوْبَرٍ فَوْقَ رَأْسِهِ مُبَاشَرَةً؛ فَعَلِمَ الْآنَ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ مَجَالٌ لِلتَّرَاجُعِ، فَعَلَيْهِ الْمُضِيُّ قُدُمًا. حَاوَلَ التَّبَاهِيَ وَالتَّظَاهُرَ بِالْجُرْأَةِ الشَّدِيدَةِ وَالشَّجَاعَةِ.

فَتَفَاخَرَ مَرَّةً أُخْرَى وَقَالَ: «لَقَدْ قُلْتُ لَكَ إِنَّنِي لَسْتُ خَائِفًا، وَإِنَّهُ إِذَا كَانَ يُوجَدُ أَيُّ شَيْءٍ غَرِيبٍ هُنَا، فَسَأَعْرِفُ مَا هُوَ.» لَكِنَّ الْعَمَّ بيلي لَاحَظَ أَنَّ صَوْتَهُ يَبْدُو مُرْتَجِفًا بَعْضَ الشَّيْءِ.

فَرَدَّ الْعَمُّ بيلي: «وَاصِلِ السَّيْرَ حَتَّى سَفْحِ التَّلِّ؛ فَهَذَا هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي رَأَيْتُهُ فِيهِ بِالْأَمْسِ. يَا إِلَهِي كَمْ أَنَا سَعِيدٌ بِأَنَّ بَيْنَنَا فَرْدًا يَتَحَلَّى بِمِثْلِ هَذِهِ الشَّجَاعَةِ الْحَقِيقِيَّةِ!»

نَظَرَ ريدي إِلَى الْعَمِّ بيلي بِحِدَّةٍ، لَكِنْ لَمْ يَرَ أَيَّ أَثَرٍ لِابْتِسَامَةٍ عَلَى وَجْهِهِ؛ فَلَمْ يَسْتَطِعْ ريدي مَعْرِفَةَ مَا إِذَا كَانَ الْعَمُّ بيلي يَسْخَرُ مِنْهُ أَمْ لَا. وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ يُوجَدُ شَيْءٌ لِفِعْلِهِ هُنَاكَ، اسْتَمَرَّ فِي طَرِيقِهِ. وَصَلَ إِلَى سَفْحِ التَّلِّ دُونَ رُؤْيَةِ أَوْ سَمَاعِ أَيِّ شَيْءٍ غَيْرِ عَادِيٍّ؛ فَبَدَتِ الْغَابَةُ الْخَضْرَاءُ كَعَادَتِهَا دَائِمًا؛ فَكَانَ الطَّائِرُ أَحْمَرُ الْعَيْنَيْنِ يَشْدُو أُغْنِيَّتَهُ الصَّغِيرَةَ عَنِ السَّعَادَةِ، كَمَا لَوْ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ كَمَا يَنْبَغِي، وَبَدَأَ ريدي يَسْتَجْمِعُ شَجَاعَتَهُ مَرَّةً أُخْرَى. فَلَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ، وَلَنْ يَحْدُثَ شَيْءٌ. بِالطَّبْعِ لَنْ يَحْدُثَ شَيْءٌ! فَالْأَمْرُ بِرُمَّتِهِ لَيْسَ سِوَى حَمَاقَةٍ مِنْ حَمَاقَاتِ الْأَرْنَبِ بيتر. وَيَوْمًا مَا سَيُمْسِكُ بِالْأَرْنَبِ بيتر وَيَضَعُ حَدًّا لِهَذِهِ الْحِكَايَاتِ السَّخِيفَةِ.

«آهٍ! مَا هَذَا؟» الْتَقَطَتْ أُذُنَاهُ الْحَادَّتَانِ صَوْتًا بِالْقُرْبِ مِنْ قِمَّةِ التَّلِّ. تَوَقَّفَ عَلَى الْفَوْرِ وَنَظَرَ لِأَعْلَى. لِبُرْهَةٍ صَغِيرَةٍ لَمْ يَسْتَطِعْ ريدي تَصْدِيقَ مَا تَرَاهُ عَيْنَاهُ؛ فَكَانَ مُتَّجِهًا نَحْوَهُ مُبَاشَرَةً مِنْ أَعْلَى التَّلِّ أَغْرَبُ شَيْءٍ رَآهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ. فَلَمْ يَسْتَطِعْ رُؤْيَةَ أَيِّ أَرْجُلٍ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ رُؤْيَةَ أَيِّ رَأْسٍ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ رُؤْيَةَ أَيِّ ذَيْلٍ. كَانَ شَيْئًا مُسْتَدِيرًا كَالْكُرَةِ، لَكِنَّهُ كَانَ

أَغْرَبَ كُرَةٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ؛ فَكَانَ مُغَطًّى بِأَوْرَاقِ شَجَرٍ قَدِيمَةٍ. لَمْ يَكُنْ ريدي لِيُصَدِّقَ أَنَّهُ كَائِنٌ حَيٌّ لَوْلَا الضَّوْضَاءُ الَّتِي كَانَ يُصْدِرُهَا. حَدَّقَ ريدي فِي ذَلِكَ الشَّيْءِ لِلَحْظَةٍ سَرِيعَةٍ، ثُمَّ مَا تَظُنُّونَ أَنَّهُ فَعَلَ؟ عَوَى فِي ذُعْرٍ وَوَضَعَ ذَيْلَهُ بَيْنَ سَاقَيْهِ وَأَطْلَقَ سَاقَيْهِ لِلرِّيحِ. نَعَمْ، هَذَا بِالضَّبْطِ مَا فَعَلَهُ الثَّعْلَبُ ريدي.

الفصل الثالث عشر

ريدي يُعَانِي بُؤْسًا شَدِيدًا

عِنْدَمَا وَضَعَ الثَّعْلَبُ ريدي ذَيْلَهُ بَيْنَ سَاقَيْهِ وَرَكَضَ مُبْتَعِدًا عَنِ الْكَائِنِ الْمُخِيفِ الْقَادِمِ مِنْ أَعْلَى التَّلِّ حَيْثُ يَعِيشُ بريكلي بوركي، لَمْ يُفَكِّرْ فِي شَيْءٍ إِلَّا الِابْتِعَادَ قَدْرَ الْإِمْكَانِ فِي أَقْصَرِ وَقْتٍ مُمْكِنٍ؛ لِذَا رَكَضَ وَهُوَ يُصْدِرُ عُوَاءً مَذْعُورًا مَعَ كُلِّ قَفْزَةٍ، وَرَكَضَ عَلَى نَحْوٍ لَمْ يَفْعَلْهُ مِنْ قَبْلُ إِلَّا فِيمَا نَدَرَ. نَسِيَ كُلَّ شَيْءٍ عَنْ مُشَاهَدَةِ الْعَمِّ بيلي الْأَبُوسُومِ لَهُ مِنْ مَكَانٍ آمِنٍ فَوْقَ شَجَرَةِ صَنَوْبَرٍ. وَلَمْ يَرَ الظَّرِبَانَ جيمي وَهُوَ يُخْرِجُ رَأْسَهُ مِنْ وَرَاءِ جِذْعِ شَجَرٍ قَدِيمٍ وَيَضْحَكُ حَتَّى كَادَ يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الضَّحِكِ. عِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى أَطْرَافِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، لَمْ يَرَ حَتَّى الْأَرْنَبَ بيتر وَهُوَ يَقْفِزُ مِنْ طَرِيقِهِ وَيَتَفَادَاهُ دَاخِلَ جِذْعِ شَجَرَةٍ أَجْوَفَ.

عِنْدَمَا مَرَّ ريدي مِنْ جَانِبِ الْأَرْنَبِ بيتر وَأَصْبَحَ بيتر فِي مَأْمَنٍ مِنْهُ، خَرَجَ بيتر مِنْ مَخْبَئِهِ. وَجَلَسَ مُعْتَدِلًا، وَأُذُنَاهُ مُنْتَصِبَتَانِ لِأَعْلَى وَعَيْنَاهُ مَفْتُوحَتَانِ عَنْ آخِرِهِمَا مِنَ الدَّهْشَةِ، وَأَخَذَ يُحَدِّقُ فِي ريدي وَهُوَ يَرْكُضُ بَعِيدًا. صَاحَ بيتر فِي دَهْشَةٍ: «يَا إِلَهِي! يَا إِلَهِي! أَظُنُّ أَنَّ ريدي أُصِيبَ بِهَلَعٍ.» وَلِأَنَّ الْأَرْنَبَ بيتر يَتَّسِمُ بِالْفُضُولِ، بَدَأَ يَتَسَاءَلُ عَمَّا يُمْكِنُ أَنْ يُخِيفَ ريدي عَلَى هَذَا النَّحْوِ، وَفَكَّرَ لِلَحْظَةٍ فِي الْكَائِنِ الْغَرِيبِ الَّذِي أَخَافَهُ قَبْلَ بِضْعَةِ أَيَّامٍ. فَصَاحَ: «أَظُنُّ أَنَّهُ هُوَ! أَظُنُّ أَنَّهُ هُوَ؛ فَالثَّعْلَبُ ريدي كَانَ قَادِمًا مِنِ اتِّجَاهِ بَيْتِ بريكلي بوركي، حَيْثُ أُصِيبَ بِالْهَلَعِ. أَنَا … أَنَا …»

ارْتَبَكَ بيتر؛ فَفِي وَاقِعِ الْأَمْرِ كَانَ يَتَسَاءَلُ عَمَّا إِذَا كَانَ يَجْرُؤُ عَلَى الصُّعُودِ إِلَى هُنَاكَ وَرُؤْيَةِ مَا إِذَا كَانَ هَذَا الْكَائِنُ الْغَرِيبُ الَّذِي لَيْسَ لَدَيْهِ رَأْسٌ أَوْ ذَيْلٌ أَوْ أَرْجُلٌ مَوْجُودًا حَقًّا هُنَاكَ مَرَّةً أُخْرَى. كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ مِنَ الْحَمَاقَةِ فِعْلُ ذَلِكَ؛ فَمِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَكُونَ ذَاهِبًا

نَحْوَ الْخَطَرِ مُبَاشَرَةً. وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّ زَوْجَتَهُ الشَّابَّةَ تَجْلِسُ فِي انْتِظَارِهِ عِنْدَ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ، وَسَيُسَاوِرُهَا الْقَلَقُ؛ إِذَنْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ بِالْفِعْلِ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ. وَلَكِنْ كَانَ لَدَيْهِ فُضُولٌ شَدِيدٌ لِمَعْرِفَةِ مَاذَا أَخَافَ ريدي هَكَذَا، وَكَانَ فُضُولُهُ، الَّذِي أَوْقَعَهُ فِي الْعَدِيدِ مِنَ الْمَآزِقِ، يَزِيدُ مَعَ كُلِّ دَقِيقَةٍ تَمُرُّ.

فَكَّرَ بيتر: «لَا بَأْسَ مِنَ الذَّهَابِ حَتَّى مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ إِلَى هُنَاكَ؛ فَرُبَّمَا أَكْتَشِفُ شَيْئًا وَلَا أُضْطَرُّ إِلَى قَطْعِ الْمَسَافَةِ كُلِّهَا إِلَى هُنَاكَ.»

لِذَا، بَدَلًا مِنَ الذَّهَابِ إِلَى الْمَنْزِلِ كَمَا كَانَ يُفْتَرَضُ بِهِ أَنْ يَفْعَلَ، عَادَ أَدْرَاجَهُ عَبْرَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، وَكَانَ يَتَوَقَّفُ بَعْدَ كُلِّ بِضْعِ قَفَزَاتٍ لِيَنْظُرَ وَيَسْتَمِعَ وَهُوَ مُتَّجِهٌ مُبَاشَرَةً نَحْوَ سَفْحِ التَّلِّ حَيْثُ يَعِيشُ بريكلي بوركي. وَهُنَاكَ عِنْدَ سَفْحِ التَّلِّ اخْتَبَأَ تَحْتَ شَجَرَةِ شَوْكَرَانٍ صَغِيرَةٍ وَنَظَرَ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ بَحْثًا عَنِ الْكَائِنِ الْغَرِيبِ الَّذِي أَخَافَهُ فِي الْمَرَّةِ الْمَاضِيَةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا هُنَا. لَكِنَّهُ لَمْ يَرَ إِلَّا الشَّيْهَمَ بريكلي بوركي وَالظَّرِبَانَ جيمي وَالْعَمَّ بيلي الْأَبُوسُومَ وَهُمْ يَتَدَحْرَجُونَ بَيْنَ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ أَعْلَى التَّلِّ وَيَضْحَكُونَ حَتَّى كَادَ يُغْشَى عَلَيْهِمْ مِنَ الضَّحِكِ.

فَكَّرَ بيتر بِدَهَاءٍ: «لَا يُوجَدُ خَطَرٌ هُنَا، هَذَا مُؤَكَّدٌ. وَأَنَا أَظُنُّ أَنَّ هَؤُلَاءِ دَبَّرُوا خُدْعَةً مَا.»

عِنْدَهَا قَفَزَ بِشَجَاعَةٍ إِلَى أَعْلَى التَّلِّ لِيَنْضَمَّ إِلَيْهِمْ، وَسَأَلَ: «مَا الدُّعَابَةُ الَّتِي تَضْحَكُونَ مِنْهَا؟»

سَأَلَهُ الظَّرِبَانُ جيمي وَهُوَ يُجَفِّفُ دُمُوعَ الضَّحِكِ مِنْ عَيْنَيْهِ: «هَلْ قَابَلْتَ الثَّعْلَبَ ريدي؟»

فَرَدَّ بيتر: «هَلْ قَابَلْتُهُ؟ إِنَّهُ كَادَ يَصْدِمُنِي وَلَمْ يَرَنِي عَلَى الْإِطْلَاقِ. وَأَنَا أَظُنُّ أَنَّهُ مَا زَالَ يَجْرِي. مَا الْأَمْرُ الْمُضْحِكُ الْآنَ؟»

بَعْدَمَا اسْتَطَاعَ الْآخَرُونَ تَمَالُكَ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الضَّحِكِ بَعْدَ وَقْتٍ طَوِيلٍ، اجْتَمَعُوا حَوْلَ بيتر وَأَخْبَرُوهُ بِشَيْءٍ أَصَابَهُ بِنَوْبَةِ ضَحِكٍ جَعَلَتْهُ يَتَأَلَّمُ مِنْ فَرْطِ الضَّحِكِ. وَقَالَ: «لَقَدْ وَقَعَ ريدي فِي هَذِهِ الْخُدْعَةِ الْمُتْقَنَةِ تَمَامًا مِثْلَمَا وَقَعْتُ فِيهَا أَنَا. الْآنَ، مَنْ أَيْضًا يُمْكِنُنَا إِخَافَتُهُ؟»

كَانَ كُلُّ هَذَا يُشِيرُ إِلَى وُجُودِ خُدْعَةٍ مَا تُدَبَّرُ أَعْلَى التَّلِّ حَيْثُ يَعِيشُ الشَّيْهَمُ الْبَدِينُ.

الفصل الرابع عشر

الثَّعْلَبُ ريدي يَتَوَارَى عَنِ الْأَنْظَارِ

لَمْ يَسْبِقْ لِلثَّعْلَبِ ريدي أَنْ شَعَرَ بِمِثْلِ هَذَا الِانْزِعَاجِ فِي حَيَاتِهِ مِنْ قَبْلُ؛ فَكَانَ يَعْرِفُ حَالِيًّا أَنَّ كُلَّ سُكَّانِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَالْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ وَعَلَى طُولِ الْجَدْوَلِ الضَّاحِكِ يَعْلَمُونَ كَيْفَ وَضَعَ ذَيْلَهُ بَيْنَ سَاقَيْهِ وَرَكَضَ بِكُلِّ مَا أُوتِيَ مِنْ قُوَّةٍ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ الْكَائِنَ الْغَرِيبَ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ وَهُوَ يَتَدَحْرَجُ إِلَى أَسْفَلِ تَلِّ الشَّيْهَمِ بريكلي بوركي. وَكَانَ مُحِقًّا؛ فَكَانَ الْجَمِيعُ يَعْرِفُونَ بِالْأَمْرِ وَيَضْحَكُونَ مِنْهُ؛ فَقَدْ رَآهُ الْعَمُّ بيلي الْأَبُوسُومُ وَالظَّرِبَانُ جيمي وَالْأَرْنَبُ بيتر وَهُوَ يَرْكُضُ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُمْ أَخْبَرُوا كُلَّ مَنْ قَابَلُوهُ بِذَلِكَ، وَمِثْلُ هَذِهِ الْأَخْبَارِ تَنْتَقِلُ سَرِيعًا لِلْغَايَةِ.

لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَتَفَاخَرْ سَابِقًا بِأَنَّهُ إِذَا رَأَى الْكَائِنَ الْغَرِيبَ فَسَيَنْتَظِرُهُ وَيَعْرِفُ مَاهِيَّتَهُ، لَمَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ مِنَ السُّوءِ؛ فَقَدْ رَكَضَ مِثْلَمَا رَكَضَ الْأَرْنَبُ بيتر عِنْدَمَا رَآهُ، وَكَانَ خَائِفًا تَمَامًا كَبيتر. وَالْآنَ وَهُوَ يَتَسَلَّلُ مُحَاوِلًا الْعُثُورَ عَلَى شَيْءٍ يَتَنَاوَلُهُ، إِذْ كَانَ جَائِعًا، بَذَلَ قُصَارَى جُهْدِهِ لِيَبْقَى بَعِيدًا عَنِ الْأَنْظَارِ. عَادَةً مَا يَتَبَاهَى الثَّعْلَبُ ريدي كَثِيرًا بِفَرْوِهِ الْأَحْمَرِ الْجَمِيلِ، لَكِنَّهُ الْآنَ يَتَمَنَّى لَوْ أَنَّ بِاسْتِطَاعَتِهِ التَّخَلُّصَ مِنْهُ. فَيَصْعُبُ لِلْغَايَةِ الْبَقَاءُ بَعِيدًا عَنِ الْأَنْظَارِ عِنْدَمَا تَكُونُ مَكْسُوًّا بِشَيْءٍ فَاقِعِ اللَّوْنِ. وَالْآنَ رَصَدَتْهُ عَيْنَا طَائِرِ السِّنْدِيَانِ سامي الْحَادَّتَانِ وَهُوَ يُحَاوِلُ التَّسَلُّلَ لِاصْطِيَادِ صِغَارِ السَّيِّدَةِ طيهوجة؛ فَطَارَ سامي عَلَى الْفَوْرِ إِلَى هُنَاكَ وَهُوَ يَصِيحُ بِمِلْءِ فَمِهِ:

الثَّعْلَبُ ريدي جَرِيءٌ جِدًّا عِنْدَمَا
لَا يُوجَدُ خَطَرٌ قَرِيبٌ،

وَإِذَا وُجِدَ الْخَطَرُ، فَوَا أَسَفَاهُ،وَوَا حَسْرَتَاهُ،
يَرْكُضُ فِي خَوْفٍ شَدِيدٍ.

نَظَرَ ريدي إِلَى أَعْلَى نَحْوَ سامي وَزَمْجَرَ غَاضِبًا. لَمْ يَعُدْ مِنَ الْمُجْدِي الْآنَ مُبَاغَتَةُ أَيٍّ مِنْ صِغَارِ طَائِرِ الطَّهْيُوجِ وَاصْطِيَادُهُ؛ لِذَا اسْتَدَارَ وَمَضَى مُسْرِعًا، مُحَاوِلًا الْهُرُوبَ مِنْ عَيْنَيْ سامي الْحَادَّتَيْنِ. بَعْدَ أَنْ سَارَ لِمَسَافَةٍ قَصِيرَةٍ سَمِعَ صَوْتًا حَادًّا يَقُولُ: «جَبَانٌ! جَبَانٌ! جَبَانٌ!» كَانَ صَوْتَ السِّنْجَابِ الْأَحْمَرِ ثرثار.

وَبِمُجَرَّدِ ابْتِعَادِهِ عَنْ أَنْظَارِ ثرثار سَمِعَ صَوْتًا آخَرَ. كَانَ يُعِيدُ مِرَارًا وَتَكْرَارًا:

هَا! هَا! هَا!
إِنَّ الشَّجَاعَةَ هُوَ مَنِ ادَّعَاهَا
وَلَكِنَّهُ جَبَانٌ، هَكَذَا وَجَدْنَاهُ.

كَانَ هَذَا عُصْفُورَ الْقَرْقَفِ تومي. لَمْ يَسْتَطِعْ ريدي التَّفْكِيرَ فِي أَيِّ شَيْءٍ يَقُولُهُ لِلرَّدِّ عَلَيْهِ؛ لِذَا انْطَلَقَ مُسْرِعًا، مُحَاوِلًا الْعُثُورَ عَلَى مَكَانٍ يَتْرُكُهُ الْآخَرُونَ فِيهِ وَشَأْنَهُ. إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَجِدْ مَكَانًا يَسْتَطِيعُ الذَّهَابَ إِلَيْهِ دُونَ أَنْ يَسْمَعَ مِثْلَ هَذِهِ الْأَصْوَاتِ السَّاخِرَةِ. حَتَّى عِنْدَمَا تَسَلَّلَ خُفْيَةً إِلَى بَيْتِهِ، لَمْ يَسْلَمْ مِنْهَا؛ حَيْثُ كَانَتِ النَّحْلَةُ الطَّنَّانَةُ تَطِنُّ حَوْلَ مَدْخَلِ مَنْزِلِهِ، وَكَانَتْ تُدَمْدِمُ:

تَنَّا تَنَّا تَنَّا تَنَّا!
وَفَرَّ ريدي رَكْضًا رَكْضًا.

فِي وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ مِنْ عَصْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ نَادَتْ عَلَيْهِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ بِصَوْتٍ عَالٍ، وَكَانَ وَاضِحًا عَلَيْهَا أَنَّهَا مُنْزَعِجَةٌ لِلْغَايَةِ مِنْ شَيْءٍ مَا. فَسَأَلَتْهُ بِمُجَرَّدِ أَنْ أَخْرَجَ رَأْسَهُ مِنْ مَدْخَلِ بَيْتِهِ: «مَا هَذَا الَّذِي أَسْمَعُهُ فِي أَيِّ مَكَانٍ أَذْهَبُ إِلَيْهِ بِشَأْنِ كَوْنِكَ جَبَانًا؟»

طَأْطَأَ رَأْسَهُ وَأَخْبَرَهَا فِي خَجَلٍ شَدِيدٍ عَنِ الرُّعْبِ الَّذِي أَصَابَهُ وَكُلِّ شَيْءٍ عَنِ الْكَائِنِ الْغَرِيبِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ أَرْجُلٌ أَوْ رَأْسٌ أَوْ ذَيْلٌ وَتَدَحْرَجَ إِلَى أَسْفَلِ التَّلِّ.

قَالَتِ الْجَدَّةُ فِي غَضَبٍ: «هَذَا جَزَاءُ التَّفَاخُرِ! كَمْ مَرَّةٍ قُلْتُ لَكَ أَنْ لَا خَيْرَ يَأْتِي مِنْ وَرَاءِ التَّفَاخُرِ! يُحْتَمَلُ أَنَّ أَحَدَهُمْ دَبَّرَ لَكَ خُدْعَةً؛ فَلَقَدْ عِشْتُ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةً، وَلَمْ أَسْمَعْ

مِنْ قَبْلُ قَطُّ عَنْ كَائِنٍ بِهَذَا الشَّكْلِ. وَإِنْ وُجِدَ، كَانَ لَا بُدَّ لِي أَنْ أَرَاهُ. عُدْ أَنْتَ إِلَى دَاخِلِ الْبَيْتِ الْآنَ، وَابْقَ هُنَاكَ؛ فَأَنْتَ عَارٌ عَلَى أُسْرَةِ الثَّعَالِبِ. سَأَبْحَثُ فِي الْأَمْرِ وَأَعْرِفُ مَا يَجْرِي. فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ خُدْعَةً مَا، فَسَيَجِدُونَ أَنَّ الْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ لَا يَسْهُلُ خِدَاعُهَا.»

الفصل الخامس عشر

الْجَدَّةُ ثعلبة تُحَقِّقُ فِي الْأَمْرِ

إِنَّ التَّحْقِيقَ كَلِمَةٌ كَبِيرَةٌ، لَكِنَّ مَعْنَاهَا بَسِيطٌ لِلْغَايَةِ؛ فَالتَّحْقِيقُ هُوَ أَنْ تَبْحَثَ فِي شَيْءٍ مَا وَتَعْرِفَ كُلَّ شَيْءٍ عَنْهُ. هَذَا مَا بَدَأَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ الْقِيَامَ بِهِ بَعْدَ أَنْ أَخْبَرَهَا ريدي بِالرُّعْبِ الشَّدِيدِ الَّذِي أَصَابَهُ عِنْدَ التَّلِّ حَيْثُ يَعِيشُ بريكلي بوركي.

وَالْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ مَاكِرَةٌ وَذَكِيَّةٌ وَبَارِعَةٌ، كَمَا تَعْلَمُونَ جَمِيعًا. وَذَكَاءُ الثَّعْلَبِ ريدي لَا يُسَاوِي شَيْئًا مُقَارَنَةً بِذَكَائِهَا. رُبَّمَا يُصْبِحُ بِمَكْرِهَا وَذَكَائِهَا وَبَرَاعَتِهَا يَوْمًا مَا، وَلَكِنَّهُ بِحَاجَةٍ إِلَى تَعَلُّمِ الْكَثِيرِ قَبْلَ هَذَا. وَإِذَا كَانَ ريدي هُوَ مَنْ سَيُحَقِّقُ فِي الْأَمْرِ، كَانَ سَيَتَّجِهُ مُبَاشَرَةً إِلَى تَلِّ بريكلي بوركي وَيَتَفَقَّدُ الْمَكَانَ وَيَطْرَحُ أَسْئِلَةً خَبِيثَةً، وَسَيَعْرِفُ كُلُّ مَنْ يَلْتَقِي بِهِ أَنَّهُ يَسْعَى لِمَعْرِفَةِ شَيْءٍ مَا.

وَلَكِنَّ الْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ لَمْ تَفْعَلْ شَيْئًا كَهَذَا. بِالطَّبْعِ لَا، فَقَدْ ذَهَبَتْ لِتَصْطَادَ طَعَامَ الْعَشَاءِ كَالْمُعْتَادِ دَوْمًا، وَلَمْ يَبْدُ عَلَيْهَا أَنَّهَا تُعِيرُ أَيَّ اهْتِمَامٍ لِمَا يَحْدُثُ مِنْ حَوْلِهَا. رَكَضَتْ فِي هَذَا الِاتِّجَاهِ وَذَاكَ وَأَنْفُهَا مُوَجَّهٌ نَحْوَ الْأَرْضِ، كَمَا لَوْ كَانَتْ تَقْتَفِي أَثَرًا. نَظَرَتْ دَاخِلَ جُذُوعِ الشَّجَرِ الْقَدِيمَةِ الْمُجَوَّفَةِ وَتَحْتَ أَكْوَامِ الْأَجَمَةِ الصَّغِيرَةِ؛ لِذَا بِمُرُورِ الْوَقْتِ وَصَلَتْ إِلَى التَّلِّ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ بريكلي بوركي.

كَانَ ريدي قَدْ أَخْبَرَ الْجَدَّةَ بِأَنَّ الْمَخْلُوقَ الْمُفْزِعَ الَّذِي أَخَافَهُ تَدَحْرَجَ مِنْ أَعْلَى التَّلِّ نَحْوَهُ، حَيْثُ كَانَ يَقِفُ فِي الْأَسْفَلِ. وَسَمِعَتِ الْجَدَّةُ بِأَنَّ الْأَمْرَ نَفْسَهُ حَدَثَ لِلْأَرْنَبِ بيتر وَالْعَمِّ بيلي الْأَبُوسُومِ؛ لِذَا، بَدَلًا مِنَ الذَّهَابِ إِلَى هُنَاكَ مِنْ عِنْدِ الْوَادِي الصَّغِيرِ، ذَهَبَتْ مِنَ الطَّرِيقِ الْآخَرِ. فَكَّرَتِ الْجَدَّةُ بِدَهَاءٍ: «إِذَا كَانَ يُوجَدُ أَيُّ شَيْءٍ هُنَاكَ، فَسَأَكُونُ خَلْفَهُ، وَلَسْتُ أَمَامَهُ.»

رَكَّزَتِ الْجَدَّةُ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا بِشِدَّةٍ مَعَ اقْتِرَابِهَا مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ بريكلي بوركي، وَتَظَاهَرَتْ بِعَدَمِ اكْتِرَاثِهَا بِشَيْءٍ إِلَّا الصَّيْدَ مِنْ أَجْلِ الْعَشَاءِ. لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ لِيَظُنَّ أَنَّهَا تُفَكِّرُ فِي شَيْءٍ آخَرَ. رَكَضَتْ هُنَا وَهُنَاكَ فِي أَنْحَاءِ التَّلِّ، لَكِنَّهَا لَمْ تَرَ أَوْ تَسْمَعْ شَيْئًا غَيْرَ عَادِيٍّ إِلَّا شَيْئًا وَاحِدًا؛ فَقَدْ وَجَدَتْ آثَارًا غَرِيبَةً تَتَّجِهُ نَحْوَ أَسْفَلِ التَّلِّ كَمَا لَوْ أَنَّ شَيْئًا تَدَحْرَجَ هُنَا. تَتَبَّعَتْ هَذِهِ الْآثَارَ حَتَّى السَّفْحِ، لَكِنَّهَا اخْتَفَتْ هُنَاكَ.

وَبَيْنَمَا هِيَ تُهَرْوِلُ عَائِدَةً إِلَى الْمَنْزِلِ عَلَى طُولِ الْمَمَرِّ الصَّغِيرِ عَبْرَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، الْتَقَتْ بِالْعَمِّ بيلي الْأَبُوسُومِ. لَمْ تَلْتَقِهِ بِالضَّبْطِ؛ لِأَنَّهُ رَآهَا قَبْلَ أَنْ تَرَاهُ، فَتَسَلَّقَ شَجَرَةً عَلَى الْفَوْرِ.

قَالَ الْعَمُّ بيلي: «أَظُنُّ أَنَّ الْجَمِيعَ سَمِعَ عَنِ الْكَائِنِ الْمُفْزِعِ الَّذِي أَخَافَ ريدي حَتَّى كَادَ يَفْقِدُ صَوَابَهُ هَذَا الصَّبَاحَ.»

تَوَقَّفَتِ الْجَدَّةُ وَنَظَرَتْ لِأَعْلَى، وَرَدَّتْ: «مِنَ السَّهْلِ إِخَافَةُ الصِّغَارِ وَالْأَبْرِيَاءِ أَيُّهَا السَّيِّدُ أبوسوم. أَنَا لَا أُصَدِّقُ كُلَّ مَا أَسْمَعُ. أَنَا أَصْطَادُ فَحَسْبُ فِي أَنْحَاءِ التَّلِّ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ بريكلي بوركي، وَلَمْ أَسْتَطِعِ الْعُثُورَ حَتَّى عَلَى فَأْرِ الْخَشَبِ لِلْعَشَاءِ. هَلْ تُصَدِّقُ مِثْلَ هَذِهِ الْقِصَّةِ السَّاذَجَةِ أَيُّهَا السَّيِّدُ أبوسوم؟»

سَعَلَ الْعَمُّ بيلي وَاضِعًا يَدَهُ عَلَى فَمِهِ وَرَدَّ: «نَعَمْ أَيَّتُهَا السَّيِّدَةُ ثعلبة، أَعْتَرِفُ بِأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيَّ تَصْدِيقُهَا. فَكَمَا تَرَيْنَ لَقَدْ رَأَيْتُ هَذَا الشَّيْءَ بِنَفْسِي؛ لِذَا مِنَ الطَّبِيعِي أَنْ أُصَدِّقَ عَيْنَيَّ.»

قَالَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة فِي حِدَّةٍ: «هَاهْ! أُرِيدُ رُؤْيَتَهُ! رُبَّمَا عِنْدَهَا أُصَدِّقُ.»

رَدَّ الْعَمُّ بيلي: «الْوَقْتُ الْوَحِيدُ الَّذِي يُمْكِنُكِ رُؤْيَتُهُ فِيهِ هُوَ عِنْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ. فَمَنْ يَأْتِ عَلَى طُولِ سَفْحِ تَلِّ بريكلي بوركي عِنْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ، فَقَدْ لَا يَنْسَى مَا سَيَحْدُثُ لَهُ أَبَدًا. أَنَا لَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ ثَانِيَةً. لَا، فَمَرَّةٌ وَاحِدَةٌ تَكْفِي الْعَمَّ بيلي.»

نَخَرَتِ الْجَدَّةُ وَقَالَتْ: «هَاهْ» ثُمَّ هَرْوَلَتْ.

رَاقَبَهَا الْعَمُّ بيلي وَهِيَ تَغِيبُ عَنِ الْأَنْظَارِ وَابْتَسَمَ ابْتِسَامَةً عَرِيضَةً. ضَحِكَ الْعَمُّ بيلي وَقَالَ: «بِمُجَرَّدِ أَنْ تُشْرِقَ الشَّمْسُ صَبَاحَ الْغَدِ، سَتَكُونُ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ هُنَا. يَجِبُ أَنْ أُبْلِغَ الشَّيْهَمَ وَالظَّرِبَانَ وَالْأَرْنَبَ.»

الفصل السادس عشر

الْجَدَّةُ ثعلبة تَفْقِدُ وَقَارَهَا

نَقَلَ الْعَمُّ بيلي الْأَبُوسُومُ الْخَبَرَ إِلَى الظَّرِبَانِ جيمي وَالْأَرْنَبِ بيتر وَالشَّيْهَمِ بريكلي بوركي بِأَنَّ الْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ سَتَأْتِي مُبَاشَرَةً عِنْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ لِتَرَى بِنَفْسِهَا الْكَائِنَ الْغَرِيبَ الَّذِي أَخَافَ الثَّعْلَبَ ريدي عِنْدَ سَفْحِ التَّلِّ حَيْثُ يَعِيشُ بريكلي بوركي. كَيْفَ عَلِمَ الْعَمُّ بيلي؟ حَسَنًا، لَقَدْ خَمَّنَ الْأَمْرَ؛ فَهُوَ عَلَى الْقَدْرِ نَفْسِهِ مِنْ دَهَاءِ وَذَكَاءِ الْجَدَّةِ ثعلبة، وَعِنْدَمَا أَخْبَرَهَا بِأَنَّ الْوَقْتَ الْوَحِيدَ الَّذِي يُرَى فِيهِ الْكَائِنُ الْغَرِيبُ الَّذِي يَتَحَدَّثُ عَنْهُ الْجَمِيعُ هُوَ عِنْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ، خَمَّنَ مِنْ طَرِيقَةِ اسْتِهْزَائِهَا وَتَظَاهُرِهَا بِعَدَمِ تَصْدِيقِ الْأَمْرِ بِرُمَّتِهِ أَنَّهَا سَتَزُورُ تَلَّ بريكلي بوركي فِي الصَّبَاحِ التَّالِي.

قَالَ الْعَمُّ بيلي وَهُوَ يُفَكِّرُ مَعَ أَصْدِقَائِهِ الثَّلَاثَةِ فِي الْأَمْرِ فِي وَقْتٍ مُبَكِّرٍ مِنَ الْمَسَاءِ مُحَذِّرًا: «تَظُنُّ السَّيِّدَةُ الْعَجُوزُ أَنَّ هُنَاكَ خُدْعَةً مَا، عَلَيْنَا أَنْ نَتَوَخَّى الْحَذَرَ الشَّدِيدَ. لَا بُدَّ أَنَّهَا سَتَأْتِي لِتَتَفَقَّدَ الْمَكَانَ قَبْلَ شُرُوقِ الشَّمْسِ، وَيَجِبُ أَنْ نَكُونَ جَمِيعًا بَعِيدِينَ عَنِ الْأَنْظَارِ، عَدَا بريكلي بوركي. إِنَّهَا سَتَأْتِي مِنَ الطَّرِيقِ نَفْسِهِ الَّذِي جَاءَتْ مِنْهُ فِي عَصْرِ الْيَوْمِ؛ مِنْ خَلْفِ التَّلِّ لَا مِنْ عِنْدِ الْوَادِي الصَّغِيرِ بِالْمُقَدِّمَةِ.»

كَانَ الْعَمُّ بيلي مُحِقًّا؛ فَكَانَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ وَاثِقَةً مِنْ أَنَّ أَحَدًا مَا يُدَبِّرُ خُدْعَةً؛ لِذَا لَمْ تَنْتَظِرْ حَتَّى طُلُوعِ الشَّمْسِ. فَكَانَتْ عَلَى قِمَّةِ التَّلِّ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ بريكلي بوركي قَبْلَ شُرُوقِ الشَّمْسِ بِسَاعَةٍ كَامِلَةٍ، وَجَلَسَتْ هُنَاكَ تَنْتَظِرُ. لَمْ تَسْتَطِعْ رُؤْيَةَ أَوْ سَمَاعَ أَيِّ شَيْءٍ يُثِيرُ الرِّيبَةَ. كَانَ الْعَمُّ بيلي الْأَبُوسُومُ مُتَوَارِيًا عَنِ الْأَنْظَارِ، حَيْثُ جَلَسَ فِي أَكْثَرِ الْأَمَاكِنِ عُمْقًا دَاخِلَ شَجَرَةِ الشَّوْكَرَانِ، وَكَانَ الْأَرْنَبُ بيتر يَجْلِسُ سَاكِنًا دَاخِلَ فَرْعٍ مُجَوَّفٍ، وَلَمْ

يَكُنِ الظَّرِبَانُ جيمي يَبْدُو مِنْهُ حَتَّى طَرَفُ أَنْفِهِ، حَيْثُ كَانَ يَسْتَلْقِي دَاخِلَ مَدْخَلِ بَيْتٍ قَدِيمٍ أَسْفَلَ جُذُورِ جِذْعٍ مَقْطُوعٍ كَبِيرٍ. كَانَ بريكلي بوركي هُوَ مَنْ يُرَى فَحَسْبُ، وَبَدَا أَنَّهُ نَائِمٌ دَاخِلَ شَجَرَتِهِ الْمُفَضَّلَةِ. بَدَا كُلُّ شَيْءٍ تَمَامًا كَمَا اعْتَادَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ رُؤْيَتَهُ مِئَاتِ الْمَرَّاتِ مِنْ قَبْلُ.

أَخِيرًا بَدَأَتْ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ الصَّغِيرَةُ تَتَرَاقَصُ فِي أَرْجَاءِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، وَتُطَارِدُ الظِّلَالَ السَّوْدَاءَ. اسْتَيْقَظَ الصَّدَّاحُ أَحْمَرُ الْعَيْنَيْنِ وَبَدَأَ عَلَى الْفَوْرِ فِي الْغِنَاءِ كَعَادَتِهِ، وَلَمْ يَنْتَظِرْ حَتَّى يَحْصُلَ عَلَى إِفْطَارِهِ. تَثَاءَبَ بريكلي بوركي وَنَخَرَ، ثُمَّ نَزَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي كَانَ يَجْلِسُ بِدَاخِلِهَا، وَسَارَ بِبُطْءٍ إِلَى أُخْرَى، وَبَدَأَ يَتَسَلَّقُهَا، ثُمَّ غَيَّرَ رَأْيَهُ وَبَدَأَ يَبْحَثُ فِي أَوْرَاقِ الشَّجَرِ الْهَالِكَةِ. وَقَفَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ وَأَخَذَتْ تَمُطُّ جَسَدَهَا بِبُطْءٍ. نَظَرَتْ إِلَى بريكلي بوركي بِازْدِرَاءٍ؛ فَقَدْ رَأَتْهُ يَتَصَرَّفُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْحَمْقَاءِ الْحَائِرَةِ عَشَرَاتِ الْمَرَّاتِ مِنْ قَبْلُ. ثُمَّ سَارَتْ بِهُدُوءٍ وَهِيَ تُرَاقِبُ بِجِدَّةٍ مَا يَحْدُثُ عَلَى يَمِينِهَا وَيَسَارِهَا، دُونَ أَنْ يَبْدُوَ عَلَيْهَا ذَلِكَ، نَحْوَ أَسْفَلِ التَّلِّ إِلَى الْوَادِي الصَّغِيرِ عِنْدَ سَفْحِهِ.

تَتَحَلَّى الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ بِالْوَقَارِ الشَّدِيدِ عِنْدَمَا تَرْغَبُ فِي ذَلِكَ، وَكَانَتْ بِالْفِعْلِ كَذَلِكَ حِينَئِذٍ؛ فَلَمْ تُسْرِعِ الْخُطَى عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَرَفَعَتْ ذَيْلَهَا الْكَبِيرَ الْكَثِيفَ فِي حَذَرٍ. وَلَمْ تَنْظُرْ لِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ وَرَاءَهَا، فَقَدْ كَانَتْ وَاثِقَةً أَنَّهُ لَا يُوجَدُ شَيْءٌ غَيْرُ مَأْلُوفٍ خَلْفَهَا، وَإِنْ قَامَتْ بِذَلِكَ فَإِنَّهُ سَيُخِلُّ بِوَقَارِهَا. وَصَلَتْ إِلَى سَفْحِ التَّلِّ وَكَانَتْ تَسِيرُ عَلَى طُولِ الْوَادِي الصَّغِيرِ وَهِيَ تَبْتَسِمُ فِي نَفْسِهَا عِنْدَ التَّفْكِيرِ فِي مَدَى سُهُولَةِ تَسَلُّلِ شُعُورِ الْخَوْفِ إِلَى الْبَعْضِ، وَعِنْدَهَا الْتَقَطَتْ أُذُنَاهَا صَوْتًا أَعْلَى التَّلِّ خَلْفَهَا. الْتَفَتَتْ فِي لَمْحِ الْبَصَرِ، وَإِذَا بِالْجَدَّةِ ثعلبة الْعَجُوزِ تَغْلِبُهَا الدَّهْشَةُ فَلَا تَسْتَطِيعُ سِوَى التَّحْدِيقِ فِي الْمَشْهَدِ لِدَقِيقَةٍ؛ فَقَدْ كَانَ يَتَدَحْرَجُ مِنْ أَعْلَى التَّلِّ بِاتِّجَاهِهَا مُبَاشَرَةً الشَّيْءُ نَفْسُهُ الَّذِي أَخْبَرَهَا ريدي عَنْهُ.

فِي الْبِدَايَةِ قَرَّرَتِ الْجَدَّةُ أَنْ تَظَلَّ فِي مَكَانِهَا وَتَعْرِفَ مَاهِيَّةَ هَذَا الشَّيْءِ، لَكِنْ كُلَّمَا اقْتَرَبَ مِنْهَا، زَادَتْ غَرَابَتُهُ وَبَشَاعَتُهُ. كَانَ عِبَارَةً عَنْ كُرَةٍ ضَخْمَةٍ مُغَطَّاةٍ كُلُّهَا بِأَوْرَاقِ الشَّجَرِ الْجَافَّةِ، مَعَ ذَلِكَ كَانَتِ الْجَدَّةُ مُتَأَكِّدَةً مِنْ أَنَّهُ كَائِنٌ حَيٌّ، رَغْمَ عَدَمِ تَمَكُّنِهَا مِنْ رُؤْيَةِ أَيِّ رَأْسٍ أَوْ ذَيْلٍ أَوْ أَرْجُلٍ. وَكُلَّمَا زَادَ اقْتِرَابُهُ مِنْهَا، زَادَتْ غَرَابَتُهُ وَبَشَاعَتُهُ. ثُمَّ نَسِيَتِ الْجَدَّةُ وَقَارَهَا. بِالْفِعْلِ نَسِيَتْ وَقَارَهَا. فِي الْوَاقِعِ فَقَدَتْهُ تَمَامًا؛ فَرَكَضَتِ كَمَا رَكَضَ ريدي!

الفصل السابع عشر

الْجَدَّةُ ثعلبة تُمْسِكُ الْأَرْنَبَ بيتر

هَيَّا مَعًا نُرْهِفِ السَّمْعَ
إِنَّهُ حَدِيثٌ صَغِيرٌ وَمُمْتِعٌ،
وَكَمْ هُوَ طَرِيفٌ وَرَائِعٌ!

مَا إِنْ تَوَارَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ عَنِ الْأَنْظَارِ، حَيْثُ رَكَضَتْ كَأَنَّ كُلَّ قَفْزَةٍ هِيَ آخِرُ قَفْزَةٍ لَهَا، حَتَّى خَرَجَ الظَّرِبَانُ جيمي مِنَ الْجُحْرِ أَسْفَلَ الْجِذْعِ الْمَقْطُوعِ الْكَبِيرِ حَيْثُ كَانَ يَخْتَبِئُ، وَخَرَجَ الْأَرْنَبُ بيتر مِنَ الْفَرْعِ الْمُجَوَّفِ الَّذِي كَانَ يَخْتَلِسُ مِنْهُ النَّظَرَ، وَهَبَطَ الْعَمُّ بيلي الْأَبُوسُومُ مِنْ شَجَرَةِ الشَّوْكَرَانِ الَّتِي حَرَصَ فِيهَا عَلَى الِاخْتِفَاءِ عَنِ الْأَنْظَارِ، وَبَدَأَ الثَّلَاثَةُ يَرْقُصُونَ حَوْلَ بريكلي بوركي وَهُمْ يَضْحَكُونَ مِلْءَ أَفْوَاهِهِمْ.

صَاحَ الظَّرِبَانُ جيمي: «هَا! هَا! هَا! تُرَى مَاذَا كَانَ الثَّعْلَبُ ريدي سَيَقُولُ إِذَا شَاهَدَ الْجَدَّةَ الْعَجُوزَ وَهِيَ تَرْكُضُ إِلَى أَسْفَلِ الْوَادِي؟!»

صَاحَ الْأَرْنَبُ بيتر: «هَا! هَا! هَا! هَلْ رَأَيْتَ كَيْفَ جَحَظَتْ عَيْنَاهَا؟»

صَاحَ الْعَمُّ بيلي الْأَبُوسُومُ بِصَوْتِهِ الْمَرِحِ الْمَبْحُوحِ: «هِيي، هِيي، هِيي! أَعْتَقِدُ أَنَّهَا سَتُصِيبُ سَاقَيْهَا بِأَذًى إِذَا اسْتَمَرَّتْ فِي الرَّكْضِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ.»

لَمْ يَتَفَوَّهْ بريكلي بوركي بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ؛ فَقَدِ ابْتَسَمَ فَحَسْبُ بِهُدُوءٍ وَهُوَ يَتَسَلَّقُ التَّلَّ بِبُطْءٍ.

الْآنَ شَعَرَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ بِخَوْفٍ شَدِيدٍ. وَمَنْ ذَا الَّذِي لَا يَشْعُرُ بِمِثْلِ هَذَا الْخَوْفِ عِنْدَ رُؤْيَةِ كَائِنٍ غَرِيبٍ دُونَ رَأْسٍ أَوْ ذَيْلٍ أَوْ أَرْجُلٍ وَهُوَ يَتَدَحْرَجُ مِنْ عَلَى التَّلِّ نَحْوَهُ

مُبَاشَرَةً؟ لَكِنَّ الْجَدَّةَ كَانَتْ طَاعِنَةً فِي السِّنِّ وَحَكِيمَةً بِحَيْثُ لَا تَسْتَمِرُّ فِي الرَّكْضِ هَكَذَا دُونَ سَبَبٍ. فَمَا لَبِثَتْ أَنْ غَابَتْ عَنْ أَنْظَارِ هَؤُلَاءِ الْأَوْغَادِ الْأَرْبَعَةِ الَّذِينَ كَانُوا يُرَاقِبُونَهَا، حَتَّى وَقَفَتْ لِتَنْظُرَ إِذَا كَانَ هَذَا الْكَائِنُ الْغَرِيبُ يُلَاحِقُهَا. لَمْ يَمُرَّ وَقْتٌ طَوِيلٌ حَتَّى أَدْرَكَتْ أَنَّهُ لَا يُلَاحِقُهَا. ثُمَّ فَكَّرَتْ سَرِيعًا.

غَمْغَمَتِ الْجَدَّةُ: «أَنَا قُلْتُ سَلَفًا إِنَّ خُدْعَةً مَا تُدَبَّرُ. وَأَنَا الْآنَ مُتَأَكِّدَةٌ مِنْ ذَلِكَ. فِي رَأْيِي أَنَّ الْأَبُوسُومَ بيلي الْعَجُوزَ التَّافِهَ هَذَا يَعْلَمُ شَيْئًا بِشَأْنِهَا، وَأَنَا سَأَعُودُ لِأَكْتَشِفَ الْأَمْرَ.»

لَمْ تُضِعْ وَقْتًا فِي التَّفْكِيرِ. عَادَتْ أَدْرَاجَهَا بِسُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ. لَا يُوجَدُ أَحَدٌ يُضَاهِي الْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ فِي خِفَّةِ الْحَرَكَةِ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْهَا كَيْفِيَّةَ الِاخْتِفَاءِ عَنِ الْأَنْظَارِ. تَسَلَّلَتْ خُفْيَةً مِنْ شَجَرَةٍ إِلَى أُخْرَى، وَأَحْيَانًا كَانتْ تَزْحَفُ عَلَى بَطْنِهَا، حَتَّى وَصَلَتْ أَخِيرًا إِلَى سَفْحِ التَّلِّ حَيْثُ أَصَابَهَا الْفَزَعُ تَوًّا. لَمْ تَرَ شَيْئًا هُنَاكَ، وَلَكِنْ فِي أَعْلَى التَّلِّ رَأَتْ شَيْئًا جَعَلَ عَيْنَيْهَا الصَّفْرَاوَيْنِ تَتَّشِحَانِ بِلَمْحَةٍ غَاضِبَةٍ وَشَرِسَةٍ. ثُمَّ ابْتَسَمَتْ بِضَرَاوَةٍ وَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا: «مَنْ يَضْحَكْ أَخِيرًا يَضْحَكْ كَثِيرًا، وَهَذِهِ الْمَرَّةَ أَظُنُّ أَنَّنِي مَنْ سَيَضْحَكُ آخِرًا.» بَدَأَتْ تَتَسَلَّلُ بِبُطْءٍ وَحَذَرٍ شَدِيدَيْنِ بِحَيْثُ لَا يَعْلُو صَوْتٌ أَعْلَى مِنْ حَفِيفِ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ، حَتَّى تَسَلَّقَتِ التَّلَّ مِنَ الْخَلْفِ.

الْآنَ رَأَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ الْأَرْنَبَ بيتر وَالظَّرِبَانَ جيمي وَالْعَمَّ بيلي الْأَبُوسُومَ يَتَدَحْرَجُونَ هُنَا وَهُنَاكَ فَوْقَ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ الْجَافَّةِ، وَيَتَقَافَزُونَ وَيَصِيحُونَ وَيَضْحَكُونَ، بَيْنَمَا جَلَسَ بريكلي بوركي يُشَاهِدُهُمْ وَيَبْتَسِمُ. كَانَتِ الْجَدَّةُ تَعْلَمُ تَمَامًا مَا يَدْعُوهُمْ إِلَى الضَّحِكِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ، كَمَا كَانتْ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَتَخَيَّلُونَ أَنَّهَا لَا تَزَالُ تَرْكُضُ هَرَبًا فِي خَوْفٍ. أَخِيرًا تَعِبُوا لِلْغَايَةِ مِنْ فَرْطِ الضَّحِكِ، حَتَّى إِنَّهُمُ اضْطُرُّوا إِلَى التَّوَقُّفِ لِلْحُصُولِ عَلَى قِسْطٍ مِنَ الرَّاحَةِ.

قَالَ بيتر وَهُوَ يَلْهَثُ وَيَرْمِي نَفْسَهُ عَلَى الْأَرْضِ: «يَا إِلَهِي، تَقَطَّعَتْ أَنْفَاسِي. كَانَ هَذَا أَكْثَرَ شَيْءٍ مُضْحِكٍ رَأَيْتُهُ. تُرَى مَنْ سَ ...»

لَمْ يُكْمِلْ بيتر كَلَامَهُ. لَا، لَمْ يُكْمِلْ كَلَامَهُ. وَبَدَلًا مِنْ ذَلِكَ صَرَخَ فِي رُعْبٍ؛ حَيْثُ بَرَقَ شَيْءٌ أَحْمَرُ خَرَجَ مِنْ تَحْتِ شَجَرَةِ شَوْكَرَانٍ تَنْمُو عَلَى ارْتِفَاعٍ مُنْخَفِضٍ بِالْقُرْبِ مِنْهُ مِنَ الْخَلْفِ، وَثَبَّتَهُ مِخْلَبَانِ أَسْوَدَانِ فِي الْأَرْضِ وَأَمْسَكَتْ أَسْنَانٌ حَادَّةٌ بِرَقَبَتِهِ مِنَ الْخَلْفِ. أَمْسَكَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ بِالْأَرْنَبِ بيتر فِي النِّهَايَةِ!

الفصل الثامن عشر

الصَّدِيقُ وَقْتَ الضِّيقِ

إِنَّ الصَّدِيقَ الْوَفِيَّ هُوَ أَفْضَلُ الْمَكَاسِبِ؛
إِذْ لا يَتَخَلَّى عَنْكَ وَقْتَ الْمَتَاعِبِ.

لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ أَوْفَى أَصْدِقَائِهِ حَتَّى يَقَعَ فِي مُشْكِلَةٍ. فَعِنْدَمَا يَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ وَلَا أَثَرَ لِلْمُشْكِلَاتِ فِي أَيِّ مَكَانٍ، يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ اكْتِسَابَ الْكَثِيرِ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ. عَلَى الْأَقَلِّ هَذَا مَا يَبْدُو. لَكِنْ عِنْدَمَا تَأْتِي الْمُشْكِلَاتُ، دَائِمًا يَخْتَفِي هَؤُلَاءِ الْأَصْدِقَاءُ الْمُرَاءُونَ فِي لَمْحِ الْبَصَرِ، وَيَتَبَقَّى الْقَلِيلُ، أَحْيَانًا قَلِيلٌ لِلْغَايَةِ مِنْهُمْ. هَؤُلَاءِ هُمُ الْأَصْدِقَاءُ الْحَقِيقِيُّونَ وَالْأَوْفِيَاءُ، وَهُمْ أَهَمُّ كَثِيرًا مِنْ سَائِرِ الْأَصْدِقَاءِ الْآخَرِينَ مُجْتَمِعِينَ. تَذَكَّرْ أَنَّكَ إِذَا كُنْتَ صَدِيقًا وَفِيًّا لِأَحَدٍ، فَسَتَقِفُ إِلَى جِوَارِهِ وَتُسَاعِدُهُ مَهْمَا حَدَثَ. أَحْيَانًا تَنْطَوِي الْمُشْكِلَاتُ عَلَى فَائِدَةٍ؛ إِذْ تَعْرِفُ حِينَهَا أَصْدِقَاءَكَ الْحَقِيقِيِّينَ.

عَرَفَ الْأَرْنَبُ بيتر بَعْضَ أَصْدِقَائِهِ الْأَوْفِيَاءِ عِنْدَمَا أَمْسَكَتْ بِهِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ بِسَبَبِ تَهَوُّرِهِ. مَرَّ بيتر مِنْ قَبْلُ بِالْعَدِيدِ مِنَ الْمَوَاقِفِ الْعَصِيبَةِ وَشَعَرَ بِالذُّعْرِ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً فِي حَيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَشْعُرْ قَطُّ بِالْعَجْزِ وَفُقْدَانِ الْأَمَلِ إِلَّا عِنْدَمَا شَعَرَ بِمَخَالِبِ الْجَدَّةِ ثعلبة الْعَجُوزِ السَّوْدَاءِ وَهِيَ تُثَبِّتُهُ فِي الْأَرْضِ وَأَسْنَانُهَا الْحَادَّةُ تُمْسِكُ بِالْجِلْدِ الْمُتَهَدِّلِ فِي عُنُقِهِ مِنَ الْخَلْفِ. كُلُّ مَا اسْتَطَاعَ فِعْلَهُ هُوَ الرَّكْلُ بِكُلِّ طَاقَتِهِ، لَكِنْ لَمْ تُوجَدْ جَدْوَى مِنَ الرَّكْلِ حَيْثُ حَرَصَتِ الْجَدَّةُ عَلَى الِابْتِعَادِ عَنْ قَدَمَيْهِ الْخَلْفِيَّتَيْنِ الْقَوِيَّتَيْنِ.

حَاوَلَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَدِيدَ وَالْعَدِيدَ مِنَ الْمَرَّاتِ الْإِمْسَاكَ بِبيتر، وَكَانَ بيتر دَائِمًا يَفُوقُهَا ذَكَاءً، كَمَا أَنَّهُ اسْتَهْزَأَ بِهَا وَسَخِرَ مِنْهَا لِلتَّوِّ. الْآنَ جَاءَ دَوْرُهَا لِتَأْخُذَ بِثَأْرِهَا، كُلُّ

هَذَا لِأَنَّهُ كَانَ مُتَهَوِّرًا وَأَحْمَقَ. فَكَمَا تَرَوْنَ، كَانَ بيتر وَاثِقًا مِنْ أَنَّ الْجَدَّةَ أُصِيبَتْ بِالذُّعْرِ عِنْدَمَا هَرَبَتْ مِنَ الْكَائِنِ الْغَرِيبِ الَّذِي تَدَحْرَجَ مِنْ أَعْلَى تَلِّ بريكلي بوركي مُتَّجِهًا نَحْوَهَا، حَتَّى إِنَّهَا لَنْ تُفَكِّرَ فِي الْعَوْدَةِ مَرَّةً أُخْرَى؛ لِذَا اسْتَسْلَمَ لِلاسْتِمْتَاعِ بِذُعْرِ الْجَدَّةِ. عِنْدَ سَمَاعِ صَرَخَاتِ بيتر الْمَذْعُورَةِ، فَرَّ الْعَمُّ بيلي الْأَبُوسُومُ لِأَقْرَبِ شَجَرَةٍ، وَاخْتَبَأَ الظَّرِبَانُ جيمي خَلْفَ جِذْعٍ مَقْطُوعٍ. فَكَمَا تَرَوْنَ، كَانَ الْأَمْرُ مُفَاجِئًا فَلَمْ يُدْرِكُوا تَمَامًا مَا يَحْدُثُ. إِلَّا أَنَّ بريكلي بوركي، الَّذِي يَدْعُوهُ الْبَعْضُ بِالْغَبِيِّ، لَمْ يَتَحَرَّكْ هَارِبًا؛ فَقَدْ تَصَادَفَ أَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى بيتر عِنْدَمَا أَمْسَكَتْ بِهِ الْجَدَّةُ؛ لِذَا كَانَ يَعْلَمُ بِالضَّبْطِ مَا حَدَثَ. لَاحَتْ لَمْحَةُ غَضَبٍ فِي عَيْنَيْهِ الْفَاتِرَتَيْنِ عَادَةً، وَتَحَرَّكَ بريكلي بوركي بِسُرْعَةٍ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي حَيَاتِهِ. وَبَرَزَتْ آلَافُ الْأَشْوَاكِ الصَّغِيرَةِ الْمُخَبَّأَةِ فِي فَرْوِهِ فَجْأَةً، وَانْدَفَعَ إِلَى الْأَمَامِ بِعُنْفٍ.

قَالَ وَهُوَ يَنْخُرُ: «أَفْلِتِيهِ!»

زَمْجَرَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة فَحَسْبُ وَتَرَاجَعَتْ إِلَى الْخَلْفِ، وَهِيَ تَجُرُّ بيتر مَعَهَا وَتَجْعَلُهُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ بريكلي بوركي.

عِنْدَهَا كَانَ الظَّرِبَانُ جيمي قَدِ اسْتَجْمَعَ شَجَاعَتَهُ. وَهُوَ لَا يَخَافُ مِنْ أَيِّ أَحَدٍ أَوْ أَيِّ شَيْءٍ. فَقَفَزَ مِنْ خَلْفِ الْجِذْعِ الْمَقْطُوعِ، عَلَى اسْتِحْيَاءٍ بَعْضَ الشَّيْءِ، وَاتَّجَهَ نَحْوَ الْجَدَّةِ ثعلبة الْعَجُوزِ. أَمَرَهَا فِي نَبْرَةٍ مُهَدِّدَةٍ: «أَفْلِتِي بيتر مِنْ بَيْنِ بَرَاثِنِكِ!» كَانَ السَّبَبُ فِي عَدَمِ خَوْفِ الظَّرِبَانِ جيمي مِنْ أَيِّ أَحَدٍ هُوَ أَنَّهُ يَحْمِلُ مَعَهُ كِيسًا صَغِيرًا بِهِ رَائِحَةٌ نَفَّاذَةٌ لِلْغَايَةِ تُقَزِّزُ الْجَمِيعَ إِلَّا هُوَ، وَالْجَدَّةُ ثعلبة تَعْلَمُ هَذَا الْأَمْرَ؛ لِذَا تَرَدَّدَتْ لِبُرْهَةٍ، ثُمَّ فَكَّرَتْ فِي أَنَّهُ إِذَا أَفْرَزَ جيمي رَائِحَتَهُ الْكَرِيهَةَ فَإِنَّهَا سَتُؤْذِي بيتر تَمَامًا كَمَا سَتُؤْذِيهَا؛ لِذَا لَمْ تُصَدِّقْ أَنَّ جيمي سَيَفْعَلُ ذَلِكَ، وَاسْتَمَرَّتْ فِي التَّرَاجُعِ إِلَى الْخَلْفِ وَهِيَ تَجُرُّ بيتر مَعَهَا. ثُمَّ شَارَكَ الْعَمُّ بيلي الْأَبُوسُومُ، وَكَانَ عَمَلُهُ هُوَ الْأَشْجَعَ عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْجَدَّةَ سَتَتَفَوَّقُ عَلَيْهِ إِنْ دَخَلَ مَعَهَا فِي شِجَارٍ؛ فَانْزَلَقَ مِنْ عَلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي احْتَمَى بِهَا، ثُمَّ زَحَفَ خَلْفَ الْجَدَّةِ وَعَضَّهَا بِشِدَّةٍ فِي أَحَدِ عَقِبَيْهَا. تَرَكَتِ الْجَدَّةُ بيتر لِتَلْتَفِتَ وَتَنْهَشَ الْعَمَّ بيلي. كَانَتْ هَذِهِ فُرْصَةَ بيتر؛ فَانْزَلَقَ مِنْ تَحْتِ مَخَالِبِ الْجَدَّةِ وَأَصْبَحَ خَلْفَ بريكلي بوركي فِي لَمْحِ الْبَصَرِ.

الفصل التاسع عشر

الظَّرِبَانُ جيمي يَنْقُلُ الْخَبَرَ لِزَوْجَةِ الْأَرْنَبِ بيتر

عِنْدَمَا وَجَدَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة أَنَّ بريكلي بوركي يَقِفُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَرْنَبِ بيتر، وَالْآلَافُ مِنْ أَشْوَاكِهِ الصَّغِيرَةِ مُوَجَّهَةٌ نَحْوَهَا، شَعَرَتْ بِغَضَبٍ لَمْ تَشْعُرْ بِهِ مِنْ قَبْلُ. وَلَمْ تَجْرُؤْ عَلَى لَمْسِ بريكلي بوركي؛ حَيْثُ كَانَتْ تَعْلَمُ جَيِّدًا مَعْنَى أَنْ تَنْغَرِسَ إِحْدَى هَذِهِ الْأَشْوَاكِ الصَّغِيرَةِ الْحَادَّةِ الشَّائِكَةِ فِي جِلْدِهَا. فَكَانَ مُجَرَّدُ تَفْكِيرِهَا فِي أَنَّهَا أَمْسَكَتْ بِالْأَرْنَبِ بيتر بِالْفِعْلِ ثُمَّ أَفْلَتَتْهُ يَغِيظُهَا كَثِيرًا. وَكَانَ أَكْثَرَ مِمَّا يُمْكِنُ أَنْ تَحْتَمِلَهُ أَعْصَابُهَا، خَاصَّةً أَنَّهَا سَرِيعَةُ الْغَضَبِ بِطَبِيعَتِهَا. وَفِي نَوْبَةِ غَضَبِهَا أَخَذَتْ تُثِيرُ أَوْرَاقَ الشَّجَرِ وَالتُّرَابِ بِسَاقَيْهَا الْخَلْفِيَّتَيْنِ، وَطَوَالَ الْوَقْتِ أَطْلَقَتْ لِسَانَهَا عَلَى الشَّيْهَمِ بريكلي بوركي وَالظَّرِبَانِ جيمي وَالْعَمِّ بيلي الْأَبُوسُومِ وَنَعَتَتْهُمْ بِأَقْبَحِ الْأَلْفَاظِ الَّتِي خَطَرَتْ عَلَى بَالِهَا. وَنَظَرَتْ إِلَيْهِمْ بِعَيْنَيْهَا الصَّفْرَاوَيْنِ شَزْرًا، فَبَدَا كَمَا لَوْ أَنَّ أَلْسِنَةَ لَهَبٍ تَتَطَايَرُ مِنْهُمَا. فَكَانَ بيتر يَرْتَجِفُ مِنْ مُجَرَّدِ النَّظَرِ إِلَيْهَا.

أَمَّا الْعَمُّ بيلي الْأَبُوسُومُ، الَّذِي انْزَلَقَ مِنْ وَرَائِهَا وَعَضَّهَا فِي أَحَدِ عَقِبَيْهَا وَجَعَلَهَا تَتْرُكُ بيتر، فَابْتَسَمَ لَهَا مِنْ مَكَانٍ آمِنٍ دَاخِلَ إِحْدَى الْأَشْجَارِ. وَقَفَ الظَّرِبَانُ جيمي يَبْتَسِمُ لَهَا عَلَى نَحْوٍ اسْتِفْزَازِيٍّ أَكْثَرَ، وَلَمْ تَسْتَطِعْ فِعْلَ شَيْءٍ لَهُمْ؛ حَيْثُ لَمْ تَكُنْ لَدَيْهَا أَيَّةُ رَغْبَةٍ فِي أَنْ يُفْرِزَ جيمي رَائِحَتَهُ الْكَرِيهَةَ. وَأَخَذَتْ تَتَكَلَّمُ حَتَّى لَمْ تَجِدْ شَيْئًا آخَرَ تَقُولُهُ، وَبَعْدَ تَوْجِيهِ الْعَدِيدِ مِنَ التَّهْدِيدَاتِ أَثْنَاءَ انْصِرَافِهَا عَمَّا سَتَفْعَلُهُ، اتَّجَهَتْ إِلَى بَيْتِهَا. لَاحَظَ الْعَمُّ بيلي أَنَّهَا

تَعْرُجُ قَلِيلًا عَلَى الْقَدَمِ الَّتِي عَضَّهَا مِنْهَا بِشِدَّةٍ، فَلَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ يَشْعُرَ بِقَلِيلٍ مِنَ الْأَسَفِ نَحْوَهَا.

عِنْدَمَا ذَهَبَتِ، الْتَفَتَ الْآخَرُونَ إِلَى الْأَرْنَبِ بيتر لِيَرَوْا مَدَى سُوءِ إِصَابَتِهِ. فَحَصُوهُ بِالْكَامِلِ وَلَمْ يَجِدُوا أَنَّ إِصَابَتَهُ خَطِيرَةً بِالنَّظَرِ إِلَى التَّجْرِبَةِ الْعَصِيبَةِ الَّتِي مَرَّ بِهَا. كَانَ جَسَدُهُ مُتَيَبِّسًا وَلَا يَسْتَطِيعُ تَحْرِيكَ أَطْرَافِهِ، وَكَانَ عُنُقُهُ مِنَ الْخَلْفِ مُلْتَهِبًا حَيْثُ أَمْسَكَتْ بِهِ الْجَدَّةُ ثَعْلَبَةُ، لَكِنَّهُ سَيَسْتَعِيدُ عَافِيَتَهُ فِي يَوْمٍ أَوِ اثْنَيْنِ.

قَالَ بِصَوْتٍ وَاهِنٍ: «يَجِبُ أَنْ أَعُودَ إِلَى الْمَنْزِلِ الْآنَ؛ فَزَوْجَتِي سَتَعْرِفُ أَنْ خَطْبًا مَا حَدَثَ لِي وَسَتَقْلَقُ كَثِيرًا.»

قَالَ الظَّرِبَانُ جيمي: «لَا، لَنْ تَذْهَبَ. فَسَتَبْقَى هُنَا حَيْثُ نَسْتَطِيعُ الِاعْتِنَاءَ بِكَ. لَيْسَ مِنَ الْآمِنِ لَكَ أَنْ تُحَاوِلَ الذَّهَابَ إِلَى الدَّغَلِ الْعَزِيزِ الْآنَ؛ لِأَنَّكَ إِنْ قَابَلْتَ الْقَيُّوطَ الْعَجُوزَ أَوِ الثَّعْلَبَ ريدي أَوِ الصَّقْرَ أَبْيَضَ الذَّيْلِ، فَلَنْ تَسْتَطِيعَ الرَّكْضَ بِالسُّرْعَةِ الْكَافِيَةِ لِتَتَمَكَّنَ مِنَ الْهُرُوبِ. سَأَنْزِلُ أَنَا مِنْ عَلَى التَّلِّ وَأَذْهَبُ لِأُخْبِرَ زَوْجَتَكَ بِالْأَمْرِ، وَأَنْتَ سَتَسْتَرِيحُ فِي الْمَنْزِلِ الْقَدِيمِ وَرَاءَ هَذَا الْجِذْعِ حَيْثُ كُنْتُ مُخْتَبِئًا.»

حَاوَلَ بيتر الْإِصْرَارَ عَلَى الذَّهَابِ، لَكِنْ لَمْ يَسْتَمِعِ الْآخَرُونَ لَهُ، وَحَسَمَ الظَّرِبَانُ جيمي الْأَمْرَ بِالِاتِّجَاهِ نَحْوَ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ. وَجَدَ زَوْجَتَهُ تَتَرَقَّبُ فِي لَهْفَةٍ الْغَابَةَ الْخَضْرَاءَ بَحْثًا عَنْ أَيِّ أَثَرٍ لِبيتر.

صَاحَتْ: «يَا إِلَهِي! لَقَدْ جِئْتَ لِتَنْقُلَ لِي أَخْبَارًا سَيِّئَةً. قُلْ لِي سَرِيعًا مَاذَا حَدَثَ لِبيتر!»

رَدَّ جيمي عَلَى الْفَوْرِ: «لَمْ يَقَعْ لَهُ شَيْءٌ خَطِيرٌ.» ثُمَّ أَخْبَرَهَا بِطَرِيقَةٍ سَاخِرَةٍ جِدًّا عَنْ ذُعْرِ الْجَدَّةِ ثعلبة عِنْدَمَا رَأَتِ الْكَائِنَ الرَّهِيبَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ وَهُوَ يَتَدَحْرَجُ إِلَى أَسْفَلِ التَّلِّ، وَكُلِّ مَا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ، لَكِنَّهُ حَرَصَ بِشِدَّةٍ عَلَى التَّهْوِينِ مِنْ إِفْلَاتِ بيتر مِنَ الْجَدَّةِ، وَشَرَحَ لَهَا أَنَّهُ سَيَرْتَاحُ فَقَطْ هَذَا الْيَوْمَ عَلَى تَلِّ بريكلي بوركي وَسَيَعُودُ إِلَى الْمَنْزِلِ فِي اللَّيْلَةِ الْقَادِمَةِ. إِلَّا أَنَّ الزَّوْجَةَ الشَّابَّةَ لَمْ تَقْتَنِعْ تَمَامًا.

فَقَالَتْ: «لَقَدْ نَاشَدْتُهُ كَثِيرًا أَنْ يَبْتَعِدَ عَنِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، لَكِنِ الْآنَ إِذَا كَانَ قَدْ تَعَرَّضَ لِأَذًى يَمْنَعُهُ مِنَ الْحُضُورِ إِلَى الْبَيْتِ، فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَيَّ، وَسَأَذْهَبُ إِلَى هُنَاكَ بِنَفْسِي.»

لَمْ يُقْنِعْهَا أَيُّ شَيْءٍ يَقُولُهُ جيمي بِالْعُدُولِ عَنْ رَأْيِهَا؛ لِذَا وَافَقَ أَخِيرًا عَلَى اصْطِحَابِهَا إِلَى بيتر. وَذَهَبَتْ زَوْجَةُ الْأَرْنَبِ بيتر الضَّعِيفَةُ الْقَلْبِ وَهِيَ تَقْفِزُ خَلْفَ الظَّرِبَانِ جيمي

فِعْلِيًّا إِلَى دَاخِلِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، الَّتِي كَانَتْ تَخَافُ مِنْهَا كَثِيرًا؛ مِمَّا يُظْهِرُ الشَّجَاعَةَ الَّتِي يُعْطِيهَا الْحُبُّ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ.

الفصل العشرون

مَكِيدَةٌ لِإِخَافَةِ الْقَيُّوطِ الْعَجُوزِ

إِنَّ الْمَكَائِدَ تُوَلِّدُ الْمَكَائِدَ، هَكَذَا الْحَالُ دَائِمًا؛
فَلَنْ تَكُفَّ عَنْ تَدْبِيرِ الْمَزِيدِ وَالْمَزِيدِ أَبَدًا.

رُبَّمَا تَظُنُّونَ الْآنَ بَعْدَ إِفْلَاتِ الْأَرْنَبِ بيتر بِأُعْجُوبَةٍ شَدِيدَةٍ مِنْ بَيْنِ مَخَالِبِ الْجَدَّةِ ثعلبة الْعَجُوزِ، أَنْ يَكْتَفِيَ الظَّرِبَانُ جيمي وَالْعَمُّ بيلي الْأَبُوسُومُ وَالْأَرْنَبُ بيتر وَالشَّيْهَمُ بريكلي بوركي بِمَا دَبَّرُوهُ مِنْ مَكَائِدَ حَتَّى الْآنَ. كَلَّا، لَمْ يَكْتَفُوا! فَكَمَا تَرَوْنَ، عِنْدَمَا زَالَ الْخَطَرُ نَسُوا الْأَمْرَ سَرِيعًا؛ فَلَمْ يَلْبَثْ بيتر أَنِ اسْتَرَاحَ فِي الْمَنْزِلِ الْقَدِيمِ خَلْفَ الْجِذْعِ الْكَبِيرِ فَوْقَ التَّلِّ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ بريكلي بوركي، حَتَّى بَدَأَ الْأَوْغَادُ الْأَرْبَعَةُ التَّفْكِيرَ فِي مَنْ يُمْكِنُهُمْ إِخَافَتُهُ أَيْضًا بِذَلِكَ الْكَائِنِ الرَّهِيبِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ رَأْسٌ أَوْ أَرْجُلٌ أَوْ ذَيْلٌ، وَالَّذِي أَخَافَ ريدي وَالْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ عَلَى هَذَا النَّحْوِ.

قَالَ الْأَرْنَبُ بيتر: «يُوجَدُ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ، فَهُوَ دَائِمًا يُخِيفُ الْأَصْغَرَ وَالْأَضْعَفَ مِنْهُ. فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَرَاهُ وَهُوَ يَرْكُضُ مِنَ الْخَوْفِ.»

صَاحَ الظَّرِبَانُ جيمي: «هَذَا هُوَ! تُرَى هَلْ سَيُصِيبُهُ الذُّعْرُ؟ فَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَكْثَرُ ذَكَاءً حَتَّى مِنَ الْجَدَّةِ ثعلبة، فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا خَافَتْ فِي الْبِدَايَةِ، فَمَا لَبِثَتْ أَنِ اسْتَجْمَعَتْ شَجَاعَتَهَا وَعَادَتْ. فِي رَأْيِكَ كَيْفَ نَسْتَطِيعُ دَفْعَهُ إِلَى الْمَجِيءِ إِلَى هُنَا؟»

قَالَ الْعَمُّ بيلي الْأَبُوسُومُ: «سَنُطْلِعُ طَائِرَ السِّنْدِيَانِ سامي عَلَى سِرِّنَا، وَسَيُخْبِرُ سامي الْقَيُّوطَ أَنَّ الْأَرْنَبَ هُنَا عِنْدَ أَعْلَى تَلِّ بريكلي بوركي، مُصَابٌ بِشِدَّةٍ بِحَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُ

الذَّهَابَ إِلَى الْمَنْزِلِ. هَذَا كُلُّ مَا يَجِبُ أَنْ يَقُولَهُ سامي. سَيَأْتِي الْقَيُّوطُ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ مُمْكِنَةٍ إِلَى هُنَا وَلِسَانُهُ يَتَدَلَّى إِلَى الْخَارِجِ؛ حَيْثُ يَعْلَمُ أَنَّ الْعَشَاءَ يَنْتَظِرُهُ هُنَا.»

قَالَتْ زَوْجَةُ بيتر الشَّابَّةُ، الَّتِي كَمَا تَعْلَمُونَ تَرَكَتْ بِشَجَاعَةٍ الدَّغَلَ الْعَزِيزَ وَصَعِدَتْ إِلَى هُنَا فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ لِلاعْتِنَاءِ بِبيتر، بِصَوْتٍ عَالٍ: «لَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ! لَقَدْ وَاجَهَ بيتر بِالْفِعْلِ مُشْكِلَاتٍ بِمَا يَكْفِي، وَلَنْ أَدَعَهُ يَقَعُ فِي مَزِيدٍ مِنْهَا، انْتَهَى الْأَمْرُ!»

قَالَ الظَّرِبَانُ جيمي بِصَوْتٍ عَالٍ: «لَنْ يَقَعَ بيتر فِي أَيَّةِ مُشْكِلَاتٍ؛ فَأَنْتِ وَبيتر سَتَكُونَانِ بِأَمَانٍ تَمَامًا كَمَا لَوْ كُنْتُمَا فِي الدَّغَلِ الْعَزِيزِ؛ حَيْثُ سَتَظَلَّانِ فِي هَذَا الْمَنْزِلِ الْقَدِيمِ وَلَنْ يَسْتَطِيعَ شَيْءٌ أَذِيَّتَكُمَا. الْآنَ رَجَاءً أَيَّتُهَا السَّيِّدَةُ بيتر لَا تَكُونِي حَمْقَاءَ؛ فَأَنْتِ لَا تُحِبِّينَ الْقَيُّوطَ الْعَجُوزَ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ فَأَنْتِ تُرِيدِينَ رُؤْيَتَهُ وَهُوَ يُصَابُ بِذُعْرٍ رَهِيبٍ يُعَوِّضُكِ أَنْتِ وَبيتر عَنْ حَالَاتِ الذُّعْرِ الَّتِي سَبَّبَهَا لَكُمَا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟»

اضْطُرَّتِ الزَّوْجَةُ الشَّابَّةُ إِلَى الِاعْتِرَافِ بِأَنَّهَا تَوَدُّ ذَلِكَ، وَبَعْدَ قَلِيلٍ مِنَ الْمُضَايَقَاتِ وَافَقَتْ أَخِيرًا عَلَى أَنْ تَدَعَهُمْ يُجَرِّبُون خُطَّتَهُمْ لِإِصَابَةِ الْقَيُّوطِ الْعَجُوزِ بِالذُّعْرِ. تَصَادَفَ مُرُورُ طَائِرِ السِّنْدِيَانِ سامي فِي الْوَقْتِ الَّذِي بَدَأَ فِيهِ الظَّرِبَانُ جيمي فِي الْبَحْثِ عَنْهُ، وَعِنْدَمَا أَخْبَرُوهُ بِمَا هُوَ مَطْلُوبٌ مِنْهُ، وَافَقَ أَنْ يُؤَدِّيَ دَوْرَهُ. فَكَمَا تَعْلَمُونَ، إِنَّ سامي مُسْتَعِدٌّ دَائِمًا لِلْمُشَارَكَةِ فِي أَيَّةِ مَكِيدَةٍ. وَبِمُجَرَّدِ أَنْ بَدَأَ سامي يَبْحَثُ عَنِ الْقَيُّوطِ الْعَجُوزِ، طَرَحَ الْعَمُّ بيلي الْأَبُوسُومُ اقْتِرَاحًا آخَرَ.

فَقَالَ: «لَقَدْ وَجَدْنَا مُتْعَةً كَبِيرَةً فِي الْإِيقَاعِ بِريدي وَالْجَدَّةِ ثعلبة. وَالْآنَ أَنَا أَرَى أَنَّهُ مِنَ الْمُنْصِفِ أَنْ نَدْعُوَهُمَا لِرُؤْيَةِ الْقَيُّوطِ الْعَجُوزِ وَمَاذَا سَيَفْعَلُ عِنْدَمَا يَرَيَانِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ الْكَائِنَ الْمُفْزِعَ الَّذِي أَخَافَهُمَا عَلَى هَذَا النَّحْوِ. فَالْجَدَّةُ تَعْلَمُ الْآنَ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ شَيْءٌ يَسْتَدْعِي الْخَوْفَ، وَرُبَّمَا تَنْسَى غَضَبَهَا إِذَا سَنَحَتْ لَهَا فُرْصَةُ رُؤْيَةِ الْقَيُّوطِ الْعَجُوزِ وَهُوَ يَهْرُبُ. فَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهَا لَا تُكِنُّ لَهُ أَيَّ حُبٍّ. مَا رَأْيُكُمْ جَمِيعًا؟»

قَالَ بيتر وَزَوْجَتُهُ عَلَى الْفَوْرِ: «كَلَّا!» لَكِنَّ الظَّرِبَانَ جيمي وَالشَّيْهَمَ بريكلي بوركي رَأَيَا أَنَّهَا فِكْرَةٌ جَيِّدَةٌ، وَبِالطَّبْعِ أَبْدَى طَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي مُوَافَقَتَهُ. بَعْدَ بُرْهَةٍ، وَبَعْدَ أَنْ أَوْضَحُوا مَرَّةً أُخْرَى لِبيتر وَزَوْجَتِهِ كَيْفَ سَيَكُونَانِ آمِنَيْنِ تَمَامًا دَاخِلَ الْمَنْزِلِ الْقَدِيمِ خَلْفَ الْجِذْعِ الْكَبِيرِ، وَافَقَا وَانْطَلَقَ سامي لِأَدَاءِ مُهِمَّتِهِ.

الفصل الحادي والعشرون

طَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي يُبْلِغُ رِسَالَتَهُ

يَحْمِلُ طَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي الْعَدِيدَ مِنَ الرَّسَائِلِ، فَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ آخَرُ كَيْفِيَّةَ تَوْصِيلِ الرَّسَائِلِ أَفْضَلَ مِنْهُ؛ فَهُوَ يَعْلَمُ مَتَى يَكُونُ مُهَذَّبًا، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَ تَهْذِيبًا مِنْهُ. ذَهَبَ أَوَّلًا إِلَى مَنْزِلِ ريدي وَالْجَدَّةِ ثعلبة وَدَعَاهُمَا إِلَى الْحُضُورِ إِلَى التَّلِّ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ الشَّيْهَمُ بريكلي بوركي لِيُشَاهِدَا الْكَائِنَ الْمُفْزِعَ الَّذِي أَصَابَهُمَا بِالرُّعْبِ وَهُوَ يُخِيفُ الْقَيُّوطَ الْعَجُوزَ. قَالَ كُلٌّ مِنْ ريدي وَالْجَدَّةِ عَلَى الْفَوْرِ إِنَّهُمَا لَنْ يَفْعَلَا شَيْئًا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، وَإِنَّهُ مِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ سامي مُشَارِكًا فِي مَكِيدَةٍ مَا، وَإِنَّهُمَا عَلَى أَيَّةِ حَالٍ يَعْلَمَانِ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ مَخْلُوقٌ هَكَذَا دُونَ رَأْسٍ أَوْ أَرْجُلٍ أَوْ ذَيْلٍ، وَرَغْمَ أَنَّهُمَا خُدِعَا مَرَّةً، فَإِنَّهُمَا لَا يَعْتَزِمَانِ أَنْ يُخْدَعَا مَرَّةً أُخْرَى.

رَدَّ سامي كَمَا لَوْ أَنَّ الْأَمْرَ لَا يَعْنِيهِ: «حَسَنًا، فَأَنْتُمَا تَعْتَرِفَانِ بِأَنَّهُ رَغْمَ ذَكَائِكُمَا تَعَرَّضْتُمَا لِلْخِدَاعِ، وَفَكَّرْنَا أَنَّهُ رُبَّمَا تُرِيدَانِ رُؤْيَةَ الْأَمْرِ نَفْسِهِ يَحْدُثُ لِلْقَيُّوطِ الْعَجُوزِ.»

عِنْدَمَا قَالَ هَذَا طَارَ مُبْتَعِدًا نَحْوَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ لِيَبْحَثَ عَنِ الْقَيُّوطِ الْعَجُوزِ، وَضَحِكَ فِي نَفْسِهِ وَهُوَ يَطِيرُ. غَمْغَمَ: «سَوْفَ يَأْتِيَانِ، فَأَنَا أَعْرِفُهُمَا جَيِّدًا وَأَعْلَمُ أَنْ لَا شَيْءَ سَيَمْنَعُهُمَا مِنَ الْمَجِيءِ عِنْدَمَا تَتَسَنَّى لَهُمَا فُرْصَةُ مُشَاهَدَةِ أَحَدٍ آخَرَ يُصَابُ بِالذُّعْرِ، لَا سِيَّمَا الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ. سَيُحَاوِلَانِ الِابْتِعَادَ عَنِ الْأَنْظَارِ، لَكِنَّهُمَا سَيَأْتِيَانِ.»

وَجَدَ سامي الْقَيُّوطَ الْعَجُوزَ وَهُوَ يَتَشَمَّسُ. قَالَ سامي بِأُسْلُوبٍ مُهَذَّبٍ لِلْغَايَةِ: «صَبَاحُ الْخَيْرِ أَيُّهَا السَّيِّدُ قيوط، أَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ بِخَيْرٍ.»

رَدَّ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ وَهُوَ يُرَاقِبُ سامي طَوَالَ الْوَقْتِ بِحِدَّةٍ بِطَرَفَيْ عَيْنَيْهِ الْمَاكِرَتَيْنِ: «لَا بَأْسَ، لَا بَأْسَ، شُكْرًا لَكَ. مَا الْأَخْبَارُ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ؟»

قَالَ سامي: «لَا شَيْءَ، فَلَا يُوجَدُ مَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُرْوَى. فَأَنَا لَمْ أَرَ صَيْفًا مُمِلًّا هَكَذَا. هَلْ تُوجَدُ أَخْبَارٌ هُنَا فِي الْأَسْفَلِ عِنْدَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ؟ سَمِعْتُ أَنَّ فَأْرَ الْمُرُوجِ داني قَدْ وَجَدَ طِفْلَهُ الضَّائِعَ.»

رَدَّ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ: «هَذَا مَا سَمِعْتُهُ. لَقَدْ حَاوَلْتُ الْعُثُورَ عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِهِ؛ فَأَنَا كَمَا تَعْلَمُ أُومِنُ بِحُسْنِ مُعَامَلَةِ الْجَارِ.»

ابْتَسَمَ سامي؛ حَيْثُ إِنَّ الْقَيُّوطَ الْعَجُوزَ عِنْدَمَا قَالَ هَذَا غَمَزَ بِإِحْدَى عَيْنَيْهِ غَمْزَةً صَغِيرَةً، وَكَانَ سامي يَعْلَمُ جَيِّدًا أَنَّ الْقَيُّوطَ إِذَا كَانَ قَدْ وَجَدَ الطِّفْلَ الضَّائِعَ، فَمَا كَانَ فَأْرُ الْمُرُوجِ داني لِيَرَاهُ مَرَّةً أُخْرَى أَبَدًا. قَالَ سامي فِي نَبْرَةٍ عَادِيَّةٍ: «بِالْمُنَاسَبَةِ، بَيْنَمَا كُنْتُ قَادِمًا عَبْرَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ رَأَيْتُ الْأَرْنَبَ بيتر عَلَى التَّلِّ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ الشَّيْهَمُ الْبَدِينُ بريكلي بوركي، وَبَدَا أَنَّ بيتر يُعَانِي خَطْبًا مَا. فَكَانَ يُعَانِي مِنْ ضَعْفٍ شَدِيدٍ حَتَّى إِنَّهُ قَالَ إِنَّهُ لَا يَجْرُؤُ عَلَى مُحَاوَلَةِ الذَّهَابِ إِلَى الْمَنْزِلِ فِي الدَّغَلِ الْعَزِيزِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَلْتَقِيَ بِأَحَدٍ يُرِيدُ تَنَاوُلَ أَرْنَبٍ عَلَى الْعَشَاءِ، فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ إِنْقَاذَ نَفْسِهِ بِسَبَبِ مَا يَشْعُرُ بِهِ مِنْ آلَامٍ. سَيَلْقَى بيتر نِهَايَةً مَشْئُومَةً يَوْمًا مَا إِنْ لَمْ يَتَوَخَّ الْحَذَرَ.»

رَدَّ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ بِضَحْكَةٍ خَبِيثَةٍ: «هَذَا يَعْتَمِدُ عَلَى مَا تَعْنِيهِ بِنِهَايَةٍ مَشْئُومَةٍ؛ فَرُبَّمَا تَكُونُ مَشْئُومَةً لِبيتر، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ طَيِّبَةً جِدًّا لِأَحَدٍ آخَرَ.»

ضَحِكَ سامي عَلَى الْفَوْرِ، وَقَالَ: «هَذَا رَأْيُكَ. حَسَنًا، فَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ يَحْدُثَ شَيْءٌ لِبيتر؛ لِأَنَّنِي أَسْتَمْتِعُ كَثِيرًا بِالشِّجَارِ مَعَهُ وَسَأَفْتَقِدُهُ بِشِدَّةٍ. أَعْتَقِدُ أَنَّنِي سَأَذْهَبُ إِلَى الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ لِأَرَى مَا يَحْدُثُ هُنَاكَ.»

طَارَ سامي فِي اتِّجَاهِ الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ، وَضَحِكَ فِي نَفْسِهِ مَرَّةً أُخْرَى وَهُوَ يَطِيرُ؛ فَقَدْ رَأَى كَيْفَ انْتَبَهَتْ أُذُنَا الْقَيُّوطِ الْعَجُوزِ قَلِيلًا عِنْدَمَا ذَكَرَ أَنَّ بيتر مَوْجُودٌ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ مُتْعَبًا لِلْغَايَةِ لِدَرَجَةِ أَنَّهُ لَا يَجْرُؤُ عَلَى الذَّهَابِ إِلَى بَيْتِهِ. فَكَّرَ سامي: «سَيَتَّجِهُ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ مُبَاشَرَةً نَحْوَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ بِمُجَرَّدِ غِيَابِي عَنِ الْأَنْظَارِ.» وَهَذَا بِالضَّبْطِ مَا فَعَلَهُ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ.

الفصل الثاني والعشرون

الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ يَفْقِدُ شَهِيَّتَهُ

مَا إِنْ غَابَ طَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي عَنِ الْأَنْظَارِ، وَكَانَ فِي طَرِيقِهِ نَحْوَ الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ، حَتَّى بَدَأَ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ رِحْلَتَهُ إِلَى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. فَالْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ ذَكِيٌّ لِلْغَايَةِ، ذَكِيٌّ جِدًّا بِحَيْثُ لَا يَنْخَدِعُ كَثِيرًا. فَإِذَا كَانَ طَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي ذَهَبَ إِلَيْهِ وَأَخْبَرَهُ بِفُرْصَتِهِ الْعَظِيمَةِ فِي الْإِمْسَاكِ بِالْأَرْنَبِ بيتر إِذَا أَسْرَعَ بِالذَّهَابِ إِلَى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، كَانَ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ سَيَشُكُّ فِي تَدْبِيرِ مَكِيدَةٍ مَا لَهُ. لَكِنَّ سامي كَانَ ذَكِيًّا لِلْغَايَةِ وَأَدْرَكَ هَذَا الْأَمْرَ؛ لِذَا ذَكَرَ بِنَبْرَةٍ عَادِيَّةٍ لِلْغَايَةِ أَنَّهُ رَأَى بيتر عَلَى تَلِّ بريكلي بوركي، وَأَنَّ بيتر بَدَا كَأَنَّهُ يُعَانِي خَطْبًا مَا، فَكَانَ مُتْعَبًا لِلْغَايَةِ بِحَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُ الذَّهَابَ إِلَى بَيْتِهِ فِي الدَّغَلِ الْعَزِيزِ. لَمْ يُلَمِّحْ بِأَيِّ شَيْءٍ إِلَى ضَرُورَةِ ذَهَابِ الْقَيُّوطِ الْعَجُوزِ إِلَى هُنَاكَ. هَذَا مَا جَعَلَ الْقَيُّوطَ الْعَجُوزَ يَتَأَكَّدُ أَنَّ الْأَخْبَارَ عَنْ بيتر رُبَّمَا تَكُونُ صَحِيحَةً.

وَعِنْدَمَا تَأَكَّدَ سامي مِنْ أَنَّ الْقَيُّوطَ الْعَجُوزَ لَا يَسْتَطِيعُ رُؤْيَتَهُ، تَوَجَّهَ مُبَاشَرَةً نَحْوَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالتَّلِّ حَيْثُ يَنْتَظِرُ الظَّرِبَانُ جيمي وَالْعَمُّ بيلي الْأَبُوسُومُ وَالْأَرْنَبُ بيتر وَزَوْجَتُهُ. وَبَيْنَمَا كَانَ طَائِرًا رَأَى الثَّعْلَبَ ريدي وَالْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ مُنْبَسِطَيْنِ عَلَى الْأَرْضِ خَلْفَ جِذْعِ شَجَرَةٍ عَتِيقٍ يَبْعُدُ قَلِيلًا عَنِ التَّلِّ، لَكِنْ بِمَقْدُورِهِمَا رُؤْيَةُ كُلِّ مَا سَيَحْدُثُ.

ضَحِكَ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ: «كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُمَا سَيَحْضُرَانِ.»

عِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى الْآخَرِينَ، أَخْبَرَهُمْ بِأَنَّهُ أَوْصَلَ الرِّسَالَةَ إِلَى الْقَيُّوطِ الْعَجُوزِ وَأَنَّهُ مُتَأَكِّدٌ لِلْغَايَةِ، فِي الْوَاقِعِ هُوَ عَلَى يَقِينٍ، مِنْ أَنَّ الْقَيُّوطَ الْعَجُوزَ فِي طَرِيقِهِ بِالْفِعْلِ إِلَى هُنَاكَ عَلَى أَمَلِ أَنْ يَسْتَطِيعَ الْإِمْسَاكَ بِالْأَرْنَبِ بيتر. تَقَرَّرَ أَنْ يَخْتَفِيَ الْجَمِيعُ عَنِ الْأَنْظَارِ عَلَى الْفَوْرِ

عَدَا بيتر؛ لِذَا تَسَلَّقَ الْعَمُّ بيلي الْأَبُوسُومُ شَجَرَةً، وَزَحَفَ الظَّرِبَانُ جيمي إِلَى دَاخِلِ جِذْعِ شَجَرَةٍ مُجَوَّفٍ، وَاخْتَبَأَ طَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي فِي أَعْمَقِ جُزْءٍ بِشَجَرَةِ شَوْكَرَانٍ، وَاخْتَبَأَ بريكلي بوركي خَلْفَ جِذْعٍ كَبِيرٍ عَلَى قِمَّةِ التَّلِّ، وَزَحَفَتْ زَوْجَةُ الْأَرْنَبِ بيتر وَقَلْبُهَا يَخْفِقُ بِشِدَّةٍ دَاخِلَ الْبَيْتِ الْقَدِيمِ بَيْنَ جُذُورِ الْجِذْعِ نَفْسِهِ، وَكَانَ بيتر فَقَطْ هُوَ الظَّاهِرَ عِنْدَمَا جَاءَ أَخِيرًا الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ وَهُوَ يَسِيرُ عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ عَلَى امْتِدَادِ الْوَادِي الصَّغِيرِ عِنْدَ سَفْحِ التَّلِّ، يَنْسَلُّ فِي هُدُوءٍ كَالظِّلِّ.

وَقَعَ نَظَرُ كُلٍّ مِنْهُمَا عَلَى الْآخَرِ فِي اللَّحْظَةِ نَفْسِهَا تَقْرِيبًا، وَعِنْدَمَا رَأَى الْقَيُّوطُ بيتر تَجَمَّدَ مَكَانَهُ كَالصَّخْرِ. خَطَا بيتر بِضْعَ خُطُوَاتٍ، وَكَانَ وَاضِحًا أَنَّهُ مُتْعَبٌ، تَمَامًا كَمَا قَالَ طَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي.

فَكَّرَ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ وَعَيْنَاهُ تَعْلُوهُمَا نَظْرَةُ جُوعٍ: «لَقَدْ نَطَقَ ذَلِكَ السِّنْدِيَانُ عَدِيمُ الْفَائِدَةِ بِالْحَقِيقَةِ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى فِي حَيَاتِهِ.»

كَانَ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ يَزْحَفُ عَلَى بَطْنِهِ مِنْ شَجَرَةٍ لِأُخْرَى مَتَى ظَنَّ أَنَّ بيتر لَا يَنْظُرُ تِجَاهَهُ، وَأَخَذَ يَقْتَرِبُ مِنْ بيتر أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ. وَكَانَ يَسْتَلْقِي فِي سُكُونٍ تَامٍّ عِنْدَمَا يَبْدُو أَنَّ بيتر يَنْظُرُ نَحْوَهُ. كَانَ بيتر يَعْلَمُ بِالطَّبْعِ مَا يَحْدُثُ، وَحَرَصَ بِشِدَّةٍ عَلَى عَدَمِ الِابْتِعَادِ أَكْثَرَ مِنْ بِضْعِ قَفَزَاتٍ عَنِ الْبَيْتِ الْقَدِيمِ أَسْفَلَ الْجِذْعِ الْكَبِيرِ حَيْثُ كَانَتِ زَوْجَتُهُ تَخْتَبِئُ، وَتَتَمَنَّى بِشِدَّةٍ لَوْ كَانَتْ هِيَ وَبيتر فِي الدَّغَلِ الْعَزِيزِ. كَانَ الْجَوُّ هَادِئًا لِلْغَايَةِ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ بِاسْتِثْنَاءِ الْأُغْنِيَّةِ السَّعِيدَةِ الَّتِي يُنْشِدُهَا الصَّدَّاحُ أَحْمَرُ الْعَيْنَيْنِ، الَّذِي لَوْ عَلِمَ بِمَا يَحْدُثُ، لَمَا أَصْدَرَ أَيَّةَ إِشَارَةٍ. إِلَّا أَنَّ الْأَمْرَ كَانَ مُمْتِعًا لِمَنْ يُشَاهِدُونَ!

زَحَفَ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ إِلَى مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ أَعْلَى التَّلِّ، وَكَانَ بيتر يَتَسَاءَلُ عَنْ مِقْدَارِ الْمَسَافَةِ الَّتِي يُسْمَحُ لَهُ بِالِاقْتِرَابِ فِيهَا وَيَظَلُّ هُوَ فِي أَمَانٍ، عِنْدَمَا صَدَرَ صَوْتُ نَخْرٍ فَجْأَةً مِنْ خَلْفِهِ. عَلِمَ بيتر مَعْنَى هَذَا الصَّوْتِ وَقَفَزَ جَانِبًا، ثُمَّ تَدَحْرَجَ إِلَى أَسْفَلِ التَّلِّ الْكَائِنُ الْغَرِيبُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ رَأْسٌ أَوْ ذَيْلٌ أَوْ أَرْجُلٌ، وَالَّذِي أَخَافَ الثَّعْلَبَ ريدي وَالْجَدَّةَ ثعلبة، نَحْوَ الْقَيُّوطِ الْعَجُوزِ مُبَاشَرَةً.

نَظَرَ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ نَظْرَةً فَاحِصَةً، وَشَعَرَ بِالتَّرَدُّدِ، ثُمَّ أَلْقَى نَظْرَةً أُخْرَى، ثُمَّ وَلَّى دُبُرَهُ وَانْطَلَقَ نَحْوَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ بِأَسْرَعِ مَا يُمْكِنُهُ. كَانَ وَاضِحًا أَنَّهُ خَائِفٌ، خَائِفٌ لِلْغَايَةِ. وَقَدْ فَقَدَ شَهِيَّتَهُ فَجْأَةً.

الدُّبُّ باستر يَفْضَحُ الْأَمْرَ

كَانَ وَاضِحًا لِلْغَايَةِ أَنَّ الْقَيُّوطَ الْعَجُوزَ لَمْ يَكُنْ يُفَكِّرُ فِي الطَّعَامِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، لَكِنَّهُ كَانَ يُفَكِّرُ فِي أَرْجُلِهِ وَمَدَى سُرْعَتِهَا؛ فَقَدْ وَصَلَ إِلَى مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ إِلَى أَعْلَى التَّلِّ عِنْدَمَا رَأَى الْكَائِنَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ رَأْسٌ أَوْ ذَيْلٌ أَوْ أَرْجُلٌ يَتَدَحْرَجُ نَحْوَهُ مُبَاشَرَةً. تَوَقَّفَ مَرَّةً وَاحِدَةً لِيَنْظُرَ بِإِمْعَانٍ ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى أَسْفَلِ التَّلِّ بِأَقْصَى سُرْعَتِهِ. كَانَ الرَّكْضُ بِسُرْعَةٍ إِلَى أَسْفَلِ التَّلِّ فِكْرَةً سَيِّئَةً لِلْغَايَةِ. بِالْفِعْلِ كَانَتْ فِكْرَةً سَيِّئَةً لِلْغَايَةِ. فَإِذَا مَا بَدَأْتَ فِي الرَّكْضِ، فَلَنْ يَكُونَ مِنَ السَّهْلِ التَّوَقُّفُ. وَمِنَ الْوَارِدِ كَثِيرًا أَنْ تَتَعَثَّرَ أَصَابِعُ قَدَمَيْكَ بِشَيْءٍ.

هَذَا مَا حَدَثَ لِلْقَيُّوطِ الْعَجُوزِ. تَعَثَّرَتْ قَدَمُهُ وَانْقَلَبَ رَأْسًا عَلَى عَقِبٍ. كَانَ مَنْظَرُهُ مُضْحِكًا لِلْغَايَةِ، حَتَّى إِنَّ الْأَوْغَادَ الَّذِينَ كَانُوا يُشَاهِدُونَهُ فَعَلُوا كُلَّ مَا بِاسْتِطَاعَتِهِمْ لِيَمْنَعُوا أَنْفُسَهُمْ مِنَ الصِّيَاحِ. أَمَّا الثَّعْلَبُ ريدي وَالْجَدَّةُ ثعلبة اللَّذَانِ كَانَا يُشَاهِدَانِ مِنْ مِنْطَقَةٍ آمِنَةٍ فَضَحِكَا بِالْفِعْلِ. فَكَمَا تَعْلَمُونَ، لَمْ يَكُونَا عَلَى وِفَاقٍ مَعَ الْقَيُّوطِ الْعَجُوزِ مُنْذُ أَنْ جَاءَ لِلْعَيْشِ فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، وَلِأَنَّ الْكَائِنَ الْغَرِيبَ بَثَّ فِيهِمَا الرُّعْبَ عِنْدَمَا شَاهَدَاهُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ، فَقَدْ فَرِحَا بِرُؤْيَةِ الْقَيُّوطِ الْعَجُوزِ يَتَجَرَّعُ مِنْ نَفْسِ الْكَأْسِ.

إِلَّا أَنَّ الْقَيُّوطَ الْعَجُوزَ لَمْ تَكُنْ لِتُوقِفَهُ مِثْلُ هَذِهِ الْعَثْرَةِ. لَا، لَمْ تُوقِفْهُ! فَقَدْ تَدَحْرَجَ ثُمَّ هَبَّ عَلَى قَدَمَيْهِ وَاسْتَمَرَّ فِي الرَّكْضِ مَرَّةً أُخْرَى، عَلَى نَحْوٍ أَسْرَعَ مِنْ ذِي قَبْلُ. يُوجَدُ عَدَدٌ قَلِيلٌ مِنَ الْكَائِنَاتِ التي تَسْتَطِيعُ رُؤْيَةَ مَا يَجْرِي خَلْفَهَا دُونَ الِالْتِفَاتِ بِرُءُوسِهَا، كَمَا هِيَ حَالُ الْأَرْنَبِ بيتر، لَكِنَّ الْقَيُّوطَ الْعَجُوزَ لَمْ يَكُنْ وَاحِدًا مِنْ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ؛ فَعِنْدَ

مُحَاوَلَتِهِ النَّظَرَ خَلْفَهُ، لَمْ يَرَ الِاتِّجَاهَ الَّذِي يَسْلُكُهُ، وَأَوَّلُ مَا انْتَبَهَ إِلَيْهِ هُوَ اصْطِدَامُهُ وَهُوَ يَجْرِي بِالدُّبِّ باستر.

لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنْ أَيْنَ جَاءَ الدُّبُّ باستر، لَكِنْ هَا هُوَ ذَا مَوْجُودٌ بِالْفِعْلِ. عِنْدَمَا اصْطَدَمَ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ بِهِ أَطْلَقَ زَمْجَرَةً عَمِيقَةً مِنَ الْغَيْظِ وَاسْتَدَارَ فَجْأَةً وَهُوَ يَرْفَعُ إِحْدَى يَدَيْهِ لِتَنْغَرِسَ مَخَالِبُهُ الْكَبِيرَةُ فِي أَيِّ كَائِنٍ يَسْعَى إِلَى مُضَايَقَتِهِ. خَافَ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ أَكْثَرَ مِنْ ذِي قَبْلُ وَأَصْدَرَ عُوَاءً وَرَكَضَ عَلَى نَحْوٍ أَسْرَعَ؛ بِحَيْثُ إِنَّهُ عِنْدَمَا رَأَى الدُّبُّ باستر مَنِ الَّذِي اصْطَدَمَ بِهِ، كَانَ الْقَيُّوطُ بَعِيدًا عَنْ مُتَنَاوَلِهِ وَمَا زَالَ يَرْكُضُ.

ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ رَأَى الدُّبُّ باستر لِأَوَّلِ مَرَّةٍ الْكَائِنَ الْغَرِيبَ، الَّذِي أَخَافَ الْقَيُّوطَ الْعَجُوزَ عَلَى هَذَا النَّحْوِ، يَتَدَحْرَجُ مِنْ عَلَى التَّلِّ. تَسَاءَلَ الْعَمُّ بيلي الْأَبُوسُومُ وَالظَّرِبَانُ جيمي وَطَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي وَالْأَرْنَبُ بيتر وَزَوْجَتُهُ، الْمُخْتَبِئُونَ فِي أَمَاكِنَ آمِنَةٍ، عَمَّا إِذَا كَانَ باستر سَيَجْرِي أَيْضًا. إِذَا رَكَضَ فَسَيَكُونُ هَذَا أَمْرًا لَا يُصَدَّقُ. لَكِنَّهُ لَمْ يَرْكُضْ. نَظَرَ فِي الْبِدَايَةِ إِلَى الْكَائِنِ الْغَرِيبِ الَّذِي يَتَدَحْرَجُ مِنْ أَعْلَى التَّلِّ، ثُمَّ إِلَى الْقَيُّوطِ الْعَجُوزِ الَّذِي يَرْكُضُ بِأَقْصَى قُوَّتِهِ، وَلَمَعَتْ عَيْنَاهُ الصَّغِيرَتَانِ الْمَاكِرَتَانِ. ثُمَّ بَدَأَ يَضْحَكُ.

صَاحَ باستر بَيْنَمَا تَدَحْرَجَ الْكَائِنُ الْغَرِيبُ وَمَرَّ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ مَخَالِبِهِ وَتَوَقَّفَ عِنْدَ اصْطِدَامِهِ بِشَجَرَةٍ صَغِيرَةٍ عِنْدَ سَفْحِ التَّلِّ: «هَا هَا هَا! هُو هُو هُو! هَا هَا هُو! أَرَى أَنَّكَ عُدْتَ إِلَى خُدَعِكَ الْقَدِيمَةِ أَيُّهَا الشَّيْهَمُ الْبَدِينُ.»

سَمِعَهُ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ وَتَوَقَّفَ فَجْأَةً وَالْتَفَتَ لِيَرَى مَاذَا يَعْنِي هَذَا. انْبَسَطَ الْكَائِنُ الْغَرِيبُ بِبُطْءٍ شَدِيدٍ وَانْقَلَبَ. وَظَهَرَ حِينَهَا رَأْسٌ وَذَيْلٌ وَأَرْبَعُ أَرْجُلٍ. لَمْ يَكُنْ هَذَا إِلَّا الشَّيْهَمَ الْبَدِينَ بريكلي بوركي نَفْسَهُ! لَمْ يُوجَدْ أَدْنَى شَكٍّ فِي ذَلِكَ، رَغْمَ أَنَّهُ مَا زَالَ يَبْدُو غَرِيبًا جِدًّا؛ حَيْثُ كَانَ مُغَطًّى بِأَوْرَاقِ الشَّجَرِ الْمَيِّتَةِ الْمُلْتَصِقَةِ بِآلَافِ الْأَشْوَاكِ الصَّغِيرَةِ الْمُخَبَّأَةِ فِي فَرْوِهِ. ضَحِكَ بريكلي بوركي.

قَالَ لَهُ: «لَمْ يَكُنْ يُفْتَرَضُ بِكَ أَنْ تَفْضَحَ أَمْرِي أَيُّهَا الدُّبُّ باستر لِمُجَرَّدِ أَنَّكَ رَأَيْتَنِي أَتَدَحْرَجُ إِلَى أَسْفَلِ التَّلِّ فِي الْغَابَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي جِئْنَا مِنْهَا نَحْنُ الِاثْنَانِ.»

رَدَّ الدُّبُّ باستر وَهُوَ لَا يَزَالُ يَضْحَكُ: «أَعْتَقِدُ أَنَّهُ الْوَقْتُ الْمُنَاسِبُ لِأَفْعَلَ هَذَا؛ فَرُبَّمَا تُخِيفُ أَحَدَهُمْ هُنَا حَتَّى الْمَوْتِ حَيْثُ لَا يَعْرِفُونَكَ.»

ثُمَّ خَرَجَ الْجَمِيعُ مِنْ مَخَابِئِهِمْ وَهُمْ يَضْحَكُونَ وَيَتَكَلَّمُونَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، حَيْثُ أَخْبَرُوا الدُّبَّ باستر بِالْخُدْعَةِ الَّتِي دَبَّرُوهَا لِلْقَيُّوطِ الْعَجُوزِ، وَكَيْفَ أَنَّ كُلَّ هَذَا جَاءَ نَتِيجَةَ الذُّعْرِ الَّذِي أُصِيبَ بِهِ الْأَرْنَبُ بيتر عِنْدَمَا مَرَّ مُصَادَفَةً حِينَمَا كَانَ بريكلي بوركي يَتَدَحْرَجُ إِلَى أَسْفَلِ التَّلِّ لِلَّهْوِ فَقَطْ. أَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْقَيُّوطِ الْعَجُوزِ فَقَدْ تَسَلَّلَ مُبْتَعِدًا وَهُوَ يَكُزُّ عَلى أَسْنَانِهِ غَضَبًا؛ فَهُوَ كَكَثِيرِينَ غَيْرِهِ لَا يَتَقَبَّلُ الدُّعَابَةَ عِنْدَمَا يَكُونُ ضَحِيَّتَهَا.

لِذَا وَطَّدَ الشَّيْهَمُ الْبَدِينُ بريكلي بوركي نَفْسَهُ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَاسْتَقَرَّ بَيْنَ السُّكَّانِ الصِّغَارِ الَّذِينَ يَعِيشُونَ فِيهَا، تَمَامًا كَمَا جَاءَ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ كَغَرِيبٍ إِلَى الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَاسْتَقَرَّ فِيهَا.


هنداوي